İslâmî İlimler Dergisi, Yıl 6, Sayı 1, Bahar 2011 (63-106)

النظام الاجتماعي القبلي واثره على الدور السياسي والحضاري للزيدية في اليمن

مقاربة سوسيولوجية لتجربة الهادي الرسي السياسية (284-298/897-911)

عبدالملك العجري[1]

Özet

Yemen'de Kabile Esasına Dayalı Sosyal Yapı ve Bu Yapının Zeydiyye'nin Siyaset ve Medeniyet Alanındaki Rolüne Etkileri: Hâdî Ressî'nin Siyasî Tecrübesine Sosyolojik Bir Yaklaşım

Bu makale Yemen bölgesindeki kabile esasına dayalı sosyal yapı ve bu yapının Zeydiyye mezhebinin bu bölgedeki siyaset ve medeniyet alanındaki rolüne etkileri üzerinde durmaktadır. Makalede gerek klasik ve gerekse çağdaş tarih ve sosyoloji kaynaklarından yararlanılarak çözümlemeler yapılmıştır. Yemen bölgesinin gerek coğrafi yapısı ve gerekse kabile esasına dayalı toplumsal yapısı, Zeydiyye mezhebinin oluşumunu etkilemiştir. Bu iki etkene dayanarak Zeydiye'nin Yemen'deki gelişimi ve bu bölgede kökleşmesi sosyolojik bir bakış açısıyla analiz edilmiştir. Bilhassa 284-298/897-911 dönemleri arasında Hâdî el-Ressî'nin Yemen bölgesinde yaşadığı siyasi tecrübe, sosyolojik bakış açısıyla tahlil edilerek değerlendirilmiştir.

Anahtar Kavramlar: Mezhep, Şîa, Zeydiyye, sosyoloji, Hâdî el-Ressi, kabile.

1- الباحث الكاتب e-mail: Alejr77@hotmail.com

مدخل

لم يكن الصعود السياسي للعائلة الاموية محل رضا وترحيب من قبل قوى سياسية ودينية واجتماعية مؤثرة واساسية في المجتمع الاسلامي ووفوق هذا زادت سياسية الدولة الاموية والتحولات السياسية والاجتماعية والفكرية التي احدثتها في المجتمع الاسلامي من اثارة النقمة عليها وواجهت معارضة سياسية وحركات احتجاجية مسلحة وثورية كالثورة التي قادها الحسين بن على وثورة عبدالله بن الزبير ووثورات الخوارج ...وقد افرز اشتداد الدولة الاموية في البطش بمعارضيها والوحشية في قمع خصومها والنهاية الدرامية لمذبحة كربلاء افرزت عن عدد من المواقف السياسية واخذت بعض قوى المعارضة في مراجعت حساباتها فمال البعض لسياسة المهادنة والتكيف مع الوضع القائم واللجوء الى التبرير وقد شجعت الدولة الاموية على تنامي هذا التوجه وزهد اخرون في السياسة مفضلين المعارضة السلبية بالانساحاب من الحياة العامة، وفريق اثر الوقوف على الحياد وفريق اخر راى الاكتفاء بالمقاومة الفكرية وبقي فريق يرفض التكيف مع الوضع القائم او المهادنة معه وغير قابل بسياسة الامر الواقع ويرى ان تردي الواقع السياسي والبؤس الاجتماعي يستدعى التحرك بكل السبل والوسائل المتاحة بوجه التمادي الاموي وكان على راس هذا الفريق الامام زيد بن على (80-122)مؤسس المذهب الزيدي والى وقت قيام ثورة زيد كانت المعارضة السياسية حركة بدون عقيدة محددة والجدل العقدي كان لازال في بدايته لم يتبلور بعد في منظومات عقدية توزع المسلمون على اساسها الى فرق وطوائف ولذلك كان معسكر الامام زيد لفيفا غير متجانس مذهبيا .وادى اخفاقه في الاطاحة بالحاكم الاموي هشام بن عبدالملك(71-125) الى زيادة تعميق الفرز للمواقف السياسية في معسكر الامام زيد نفسه و لمكونات المجتمع الاسلامي بشكل عام ,وكان كل مكون من هذه المكونات يتأثر في قرائته للدين بموقفه السياسي .بمعنى اخر كان كل فريق يصوغ منظومته العقدية والتشريعية .بما ينسجم وموقفه السياسي او بوحي منه ومن ثمت اصبحت الزيدية ايديولوجية الثورة ومن ناحية اخرى ضاعف اخفاق الثوار من محنة المعارضين للدولة الاموية لا سيما العلويين وعمدت السلطات الاموية ومن بعدها العباسية الى تكثيف اجراءاتها القمعية ضد العلويين واتباعهم ما دفع بهم الى التفكير في اماكن اخرى بعيدا عن اعين الدولتين سيما تلك الواقعة في الاطراف حيث تضعف قبضة الدولة فلجأ ادريس بن عبدالله (تـ177) الى المغرب الاقصى في افريقيا ليؤسس هناك الدولة الادريسية الزيدية الا انها لم تعمر طويلا فقد انتهى امرها بسقوط مدينة فاس بيد الدولة الفاطمية

عام (212)وبسقوط فاس انتهى امر الزيدي بالمغرب سياسيا وفكريا, وفي طبرستان جنوب بحر الخزر اسس الحسن بن زيد بن محمد(تـ270)الملقب بالداعي الدولة الزيدية وقد انحسر هي الاخرى الوجود الزيدي فيها لصالح الشيعة الاثنا عشرية .

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري انتهت القيادة الروحية للزيدية الى يحي بن الحسين الرسي(245-298)الملقب بالهادي الى الحق الذي اسس الدولة الزيدية في اليمن والتي تعد اطول الدول الاسلامية عمرا

وتهدف هذه المقاربة السوسيولوجية الى التعرف على اثر التركيبة القبلية للمجتمع اليمني على الدور السياسي والحضاري للزيدية في مرحلة من اهم مراحلها وهي مرحلة التأسيس وإعادة قراءة تجربة الهادي الرسي وحركته الاصلاحية في ضوء تمثلها لمنظومة البنى التحتية للمجتمع اليمني كما كانت على عهده, على اساس ان أي تجربة سياسية تاتي على راس شبكة من العلاقات المتجادلة بين المتغيرات البنوية للمجتمع الاقتصادية والاجتماعية والمعرفية والتي تعكس نفسها في تشكل وصياغة التجربة السياسية .

وهي ليست اكثر من محاولة قد لا يحالفها الحظ في تحقيق نتائج هامة نظرا لان الوقت كان مضغوطا أكثر من اللازم وثانيا المصادرالتاريخية التي تناولت العهد السياسي لم تهتم لتاريخ الحياة الاجتماعية والمعرفية والاقتصادية وكان تركيزها على تسجيل سير احداث الصراع العسكري واسباب اخرى ولذلك هي ليست اكثر من خطوة على الطريق

و نمهد لذلك بالحديث عن شخصية الهادي باعتبارها مدخلا أساسيا لفهم تجربته السياسية ومشروعه الإصلاحي.

تشير بعض النظريات الاجتماعية أن هناك أشخاص يولدون ليكونوا قاده وإذا صحت هذه النظرية فإنها لانطبق على احد قرر انطباقها على شخصيه الهادي يحي بن الحسين(245-297)كما تصورة المصادر التاريخية –فهو من نوع تلك الشخصيات التي خلقت للتولي مهاما قيادية غير عادية إذ ولد مزودا بيولوجيا بأهم السمات ألمكونة للشخصية القيادية .

يتحدث المؤرخون عن نشأته انه كان في صباه يدخل السوق ويقول ما طعامكم هذا فيقال حنطه فيدخل يده فى الوعاء فيأخذ ما فى كفه ويطحنه بيده ثم يخرج ويقال هذا دقيق وروى أبو

طالب انه كان غلاما حزروا بالمدينة وكان طبيب سرياني يختلف إلى أبيه الحسين بن القاسم على حمار يعالجه من مرض أصابه فنزل عن الحمار يوما وتركه على الباب فاخذ يحي الحمار واصعده السطح فلما خرج الطبيب لم يجد الحمار فقيل صعد به يحي فسؤل ان ينزله ومن ثم المثل السائر ينزل الحمار من صعد به فانزله وقد دميت نابه فبلغ ذلك أباه فزجره وخاف أن ترمقه العيون" وكان يعمد إلى القظيب من الحديد فيلويه على عنق خصمه ثم يعاود الى تسويته ما يدل على متانة بنائه الجسدي الخارجي وكان يزيد من هيبته الهيكل الاسدي كما تصوره المصادر التاريخية على" انه كان اسديا انجل العين واسع الساعدين غليظهما بعيد ما بين المنكبين والصدر خفيف الساقين والعجز كالأسد"[1]

و بالإضافة الى متانة بنائه الجسدي بدت عليه مبكرا ملامح النجابة والنباهة واظهر عن مقدرات عقليه متقدمة تذكر بعض الروايات انه بدا التصنيف وله من العمر سبع عشرة سنة[2]

وقد تضافرت هذه العوامل فى تشكيل وبناء ديناميت الجذب لشخصيته وإخراجها على نحو كارزيمي مؤثر، يستشف هذا من مظاهر الإجلال والتعظيم التى كان يحاط بها فى محيطه العائلي والاجتماعي بحسب شهادة الناطق بالحق بانه لم يسمع "بأنه بلغ من تعظيم بشر لإنسان ما كان من تعظيم أبيه وعمومته له و لم يكونوا يخاطبونه إلا بالإمام[3] ".

و من دلائل تميزه اعتراف العلويين بزعامته ولعل هذا هو ما حمل الزيديه وخاصة فى الحجاز يعقدون له البيعة 893/280 قبل ان يفكر بالذهاب إلي اليمن وهو ابن خمس وثلاثين سنه مع وجود أبيه وأعمامه على قيد الحياة. وكانت شخصيته الكاريزمية تفرض حضورها الطاغي والمؤثر في أي مجلس يشهده ويثير حفيظة منافسيه كما حدث للداعي محمد بن زيد حاكم طبرستان بعد ان قصدها في جماعة من اهل بيته ببينهم أبوه وبعض أعمامه و نزولهم بخان العلا بآمل وما كاد يستقر بهم المقام حتى تقاطر عليهم أهالي طبرستان حتى ضاق الخان بالناس وكاد السطح يسقط ، وقد انزعج الداعي لذلك و لم يستطع أن يخفي تخوفه. وكانت ألمكانه الدينية والعلمية للقاسم بن إبراهيم (169-246) الذي كان يلقب بالأوساط العلمية (ترجمان الدين)تزيد من مهابة

[1] الحسن حسام الدين حميد بن احمد المحلي، الحدائق الوردية في مناقب ائمة الزيدية (مخطوط) ج2 ص15 .

2-نفس المصدر.

3-يحي بن الحسين الهاروني، الافادة في تاريخ ائمة الزيدية, تحقيق محمد عزان ,ط1,دار الحكمة اليمانية –صنعاء (1996)، ص 134.

الهادي مع همه ترقى إلى سماك السماء ونبل واستقامة أخلاقية فيحي كما يقول الشماحي " كان مثلا لصفات القائد والقدوة الحسنه لأتباعه مترفعا عن الأهواء وسفا سف الأمور وعن المتع شجاعا فى المعارك والأهوال وفى تطبيق ما يؤمن به ويدعوا إليه معتدلا حتى مع أعاديه[1]"

وكان كتله متفجرة من الطاقة والحيوية والنشاط والثقة واعتداد بالنفس . صلب أمام عوادي الدهر لا يخور ولا يبور ولاتثنيه الصعاب وكلفة المواجهة عما يهدف الى تحقيقه. وكان يخلب أذان سامعيه بحسن عباراته وجزالة ألفاظه وسلامه منطقه وقوة حجته فقد كان شاعرا وخطيبا ومحاجا وبذلك يكون قد جمع بين أهم وسائل الاتصال البليغة التأثير على الجماهير ومخاطبتهم .

فى الجملة الهادي كان شخصية قيادية من الدرجة الأولى ومن الرجال العظماء الذين يتركون أثرهم علي التاريخ ، وهو بما توافر له من السمات الهامة المكونة للشخصية القيادية والعوامل والمؤثرات الاسرية والثقافية التي تعاورت على بناء شخصيته كان لابد أن يكون قائدا لأنه خلق ليكون كذلك لان القيادة طاقة يمتلك الهادي مخزونا ضخما منها ، وقدره أن يفرغها وقد تساعده الظروف وقد لا تساعده وفي هذا تتفاوت خطوط عظماء التاريخ .

والهادي هو الزعيم الزيدي الذى انتهى إليه حمل المشروع الإصلاحي الذى كان قد بدأه الإمام زيد (هـ122)ويعد الوريث الشرعي للموروث المعرفي لزيد بن علي باعتبار الزيدية حركة اصلاحية دينية مشروعها السياسي يقوم على مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والمسؤولية الاجتماعية والسياسية وتبنى المعارضة السياسية والمسلحة إن لزم الأمر .

وتتناغم شخصية الهادي مع خصائص الفكر الزيدي المعرفية والسياسية , دون ان يعنى ذلك انه مجرد حامل سلبي للموروث المعرفي لزيد بن علي فهذا يتنافى مع طبيعة شخصيته الخلاقة فما بينهما نشأت علاقة جدليه خصبة فالموروث المعروفي للزيدية أسهم بدرجه أساسيه في التكوين المعرفي للهادي والهادي بدوره أثرى هذا الموروث بالتراكم المعرفي لعصره وأضفى عليه طابعا من شخصيته ومن هنا منشأ الخطأ الذي وقع فيه فريق من الباحثين في نظرتهم للهادي كمؤسس لفرقه متميزة داخل الزيدية وهو خطا جر إليه سوء فهم لطبيعة الفكر الزيدى وطبيعة ادوار الزعامات

[1]-عبدالله عبدالوهاب الشماحي، *اليمن الانسان والحضارة*، ط3، منشورات المدينة (1985).

الروحية والسياسية المتعاقبة على قياده المذهب الزيدية وهامش الحركة المسوح لها مزاولته في إطار المذهب الزيدي

وكانت الظروف السياسية والاجتماعية التي يمر بها العالم الإسلامي على نهايات القرن الثالث الهجري والمتمثلة في تبدي ملامح الضعف على ألخلافه العباسية وضعف سلطتها المركزية وتزايد نفوذ الأتراك واستئثارهم بالسلطة دون الخلفاء وتفشي الفساد في أجهزة السلطة وكثرة الانتفاضات المناهضة للدولة العباسية والخارجين عليها والتذمر في صفوف الجماهير تدفع بالهادي إلى التفكير الجدي في استثمار هذه الظروف لبدء التحرك السياسي ووضع ألخطه العملية لحركته الإصـــلاحية والتي تطمح إن ساعدتها الظروف الى منازلة ألخلافه العباسية في بغداد وقد أشار الهادي إلى أهمية اغتنام هذه الظروف في رسالته الى بعض أهله في الحجاز يؤنبهم فيها على خمولهم وســلبيتهم في التفاعل مع حركته.

وبالفعل بدا الهادي في وضع خطته موضع التنفيذ واختار التوجه جنوبا نحو اليمن وتــذكر المصادر التاريخية ان الهادي تردد في البداية في التوجه إلى اليمن وتردده كان على اساس ان اليمن ليس المكان المفضل لديه، لأنه من الطبيعي أن يفكر إي زعيم مؤسس أو صاحب دعوه جديدة أن يكون اختياره لمقر دعوته مبنيا على استقراء سليم للمناطق والاختيار من بينها أكثرها مناسبة التي تساعده على تحقيق أهداف دعوته وتشكل الحامل الاجتماعي الجيد لها والعصبية التي تقــدم الحماية اللازمة . وكان الإمام قد قام بجولات استطلاعيه لبعض البلدان كما مر وقد عبر عن خيبه أمله فى اليمن بعد الرحلة الاستطلاعية الاولى الى اليمن عام 280هـــ),فعلى الرغم من انهم قدموا له فروض الولاء والطاعة لم يحبوا تمسكه بالشريعة والقران, تذكر بعض المصادر ان الهــادي أراد تنفيذ الحكم الشرعي بحق رجل من ال طريف من أقارب أبى العتاهية بلغه انه شرب الخمر فمانع القوم فاستاء الهادي لذلك وقرر العودة إلى الحجاز وهو(يقول لا اكون كالمصباح يضيء لغيره ويحرق نفسه) .

ومع معاودة الوفود اليمنية المطالبة للمرة الثانية بقدومه فكر الهادي بصرفهم لما بدا له كمــا يقول من قلة رغبتهم في الحق الا انه فى النهاية عدل عن رايه ووافق على الذهاب الى اليمن بعــد تردد فما هى الاسباب التى حملته على العدول عن التوجه الى اليمن ؟

القاسم المشترك بين الروايات التي يوردها المؤرخون ان ضغط الوفود اليمنيه الى الحجاز ومراسلات عدد من الزعماء المحليين والعشائريين التي تطالب بقدومه وتعهداتهم بالالتزام وحسن السيره والسلوك وتوسلهم بعمومته وبابيه لإقناعه بالعدول عن رأيه والتوجه معهم الى اليمن هي السبب المباشر في إقناع الهادي[1] .

فالحروب الأهلية قد أنهكت العشائر المتصارعة واستنزفت مواردهم ألاقتصاديه وكانوا بحاجه ماسه الى الاستقرار والتقاط الأنفاس ولو لفترات متقطعة وقصيرة

ومن ناحية سياسية هنالك فراغ سياسي نتيجة لغياب السلطة المركزية إضافة الى أن بعد اليمن عن بغداد عاصمة الدولة العباسية ووعورة تضاريس اليمن فضلا عن تدهور أوضاع الخلافة العباسية التي كانت تغري الطامحين والمناوئين التقليديين للسلطان العباسي من أصحاب العقائد الثورية على التمرد على الدولة المركزية وباعتقادي ان الهادي لم يكن أمامه خيارات كثيرة فالمواطن التقليدية للتشيع في العراق وخراسان تجعله في متناول العباسيين وطبرستان جنوب بحر الخزر كان يشغلها الداعي حسن مع انه اقل كفاءة وأهليه من الهادي والحجاز كانت قد اعتزلت السياسة منذ وقت مبكر.وكانت آخر مشاركة لها مع النفس الزكية وكانت هذه أسباب كافيه لإقناع الهادي لان الفقه السياسي الزيدي وان كان يشترط للثورة وجود التسهيلات اللازمة التي تجعل فكره نجاح الثورة احتمالا راجحا حتى لا تكون مغامرة غير محسوبة ولا يشترط تأكد النجاح بقينا, وعند توفر الحد المقبول من التسهيلات يصبح التحرك السياسي أمرا متحتما ولا يؤثر وجود بعض العوائق والصعوبات إمام فرص النجاح مادامت فى الحدود المقبولة.بمعنى اخر الا تكون فرص الفشل أكثر من فرص النجاح وهذا سبب اضافى يدفع بالهادى الى غمار السياسه

و يذهب جمله من الباحثين المعاصرين إلى اختزال بواعث الدور السياسي للهادي واهل البيت عموما في السعي الدءوب لاستعادة الحق العائلي المقدس لهم في السياسة وان الباعث الأساس من وراء الثورات المتتابعة للثوار العلويين هو الشعور بحرمانهم من حقهم السياسي واكثر من هذا يفترض احد الباحثين من أبهة السلطة وبهرجها باعثا حصريا لتوجه الهادي الى اليمن[2] .

[1] حسين خضيري احمد، قيام الدولة الزيدية في اليمن 280-297،مكتبة مدبولي (1996)، صـ 62-122

[2] -احمد عطا الله عارف، مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية والسياسية في اليمن، ط1،المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت (1991).

وهي مجازفة غيرموفقة فمع الإقرار بان نظرية الإمامة السياسية تتضمن الاعتقاد بالأولوية السياسية لأهل البيت (من المعروف أن اشتراط وضعا عائليا في السياسية كان هو السائد على المناخ السياسي والاجتماعي والديني لذلك العصر) وان هذا العامل النفسي من بين أسباب النشاط السياسي للثوار العلويين إلا انه لم يكن جوهريا في حركتهم فضلا عن ان يكون المحرك الرئيس أو الوحيد للثورات الزيدية ضد النظام القائم في الشام ثم في بغداد لاحقا يدل على ذلك جملة أمور.

منها ان الاعتقاد بالحق العائلي موجود لدي اكبر فصيل شيعي وهم الاثنا عشرية مثلما هو عند الزيدية وعلى نحو أكثر تطرفا ومع وجوده لم يؤثر عنهم ممارسة أي نشاط سياسي الى قيام الثورة الإيرانية1979م وفضلت قياداته الروحية العزلة السياسية وإيثار السلامة وقصر ت نشاطها على الأدوار الهامشية الاجتماعية والتربوية فلو كان هذا الاعتقاد ومشاعر الحرمان هي المحركة فلماذا لم تمارس مفعولها مع هؤلاء؟ وكيف كانت تدفع بهؤلاء إلى غمار الحياة السياسية ومواجهة الموت في شجاعة منقطعة النظير وتقديم قوافل الشهداء، وتبطل كل مفاعيلها السحرية عنداولئك

ألا يعني ذلك أن أمرا وراءه يمتاز به احد الفصلين هو الباعث على هذا الإصرار السياسي؟ وإذا فتشنا عن أهم ما يميز بين الفصلين لوجدناه في تصور كل فصيل لتطبيقات مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والأبعاد الاجتماعية والسياسية لهذا المبدأ وفقا للنظرية الزيديه ونظرتها إلى الحياة العامة بكل مظاهرها على أنها شانا عاما يهم كل أفراد المجتمع المسلم و يدخل ضمن دائرة مسؤوليات المؤمن واهتماماته الشخصية الدينية, و تتعاظم المسؤولية أكثر بالنسبة لرجال الدين والقيادات الروحية فتفرض على المؤهل علميا وأخلاقيا خاصة ال النبي (ص) أن يكون ايجابيا في التعاطي مع الشأن العام السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري، والهادي كان محصلة لهذا الفكر في سلوكه وتفكيره ،و الشخص المؤهل نفسيا وعلميا وأخلاقيا وفسيولوجيا للقيام بهذا الدور ولذلك من الطبيعي أن يتطلع الهادي للعب دور سياسي كجزء من المسؤولية كما يراها قال الهادي" والله الذي لا اله إلا هو وحق محمد ما طلبت هذا الأمر اختيارا ولا خرجت إلا اضطرارا لقيام الحجة" ،ومثل هذه العبارة نجدها تكرر على لسان أكثر قائد زيدي وليس هناك مبرر منطقي لاستبعاد الدافع الديني وراء الحركة السياسية للمعارضة الشيعية- سواء كانوا مصيبين في نظرهم تلك أم مخطئين-وتصوير أفراد هذا البيت العلوي على أنهم جماعة من المهووسين بالسلطة وان الهوس بالسلطة هو الذي جعلهم لا يستطيعون العيش إلا في السياسية و

بها ومعها , فالعامل الديني يعتبر من بين أهم القوى المحركة للتاريخ, يذكر المؤرخ المصري جرجي زيدان أن ما يميز ممارسة العلويين للسياسة عن خصومهم الأمويين والعباسيين هو "صدق تدينهم "

ثانيا: لا تلتفت هذه التفسيرات الى اثر التحولات الاجتماعية والسياسية وهي تفسيرات لا تصح الا في حالة ما اذا كان الوضع الاسلامى العام المرافق للمعارضة المسلحة لا يحتمل اى مبرر او عوامل سياسية او دينية او اجتماعية او اقتصادية غير هذا العامل النفسي. والقرائة العملية والمحايدة لتطور الاحداث والمتغيرات فى المحيط الاجتماعي الاسلامى توضح ان التحولات المتتابعة والمتسارعة على جميع الصعد منذ نهاية النصف الاول من القرن الاول الهجري تفرض وضعا ثوريا، فعلى المنظورين القريب والبعيد يرصد الرئيس الإيراني السابق خاتمي بعض أهم مظاهر التحول السياسي والاجتماعي, في تعمق أزمة الشرعية السياسية وزيادة الاعتماد على القوه العسكرية والقمع الوحشي للمعارضين وممارسه الإرهاب بحقهم وتفشى الفساد في الأجهزة الحكومية والمساوي الاجتماعية والتدهور القيمى واحتدام الخلافات السياسية والكلامية التي صار الدين محورا لها, و الشك فى شرعيه النظام السياسي اخذ يمتد الى الدين الذي يدعى النظام تمثيله فظهرت الزندقة والشعوبية، و إفراغ البيعة من مفهومها السياسي والقانوني كعقد اجتماعي بين الحاكم والمحكوم بموجبه يلتزم كل طرف للآخر مجموعه من الحقوق والواجبات الى التزام من طرف واحد (ألامة) بالطاعة المطلقة[1]

وأقصي المجتمع عن حقه في المشاركة والمسائلة وتعززت السلبية السياسية والإنسان ليس أكثر من قن عند الحاكم له أن يتصرف فيه كيف يشاء, وفى العصر الأموي فقدت مكة والمدينة أهميتهما السياسية وتحولتا إلى مدينتين غنائيتين واكتظتا بالمغنين والمغنيات وما صاحب ذلك من المجون والفساد ولوازم التدني" واجتمع فى زمن واحد من مشهوري الغناء جميلة وهيت وطويس والدلال وبرد الفؤاد ونومة الضحى ورحمة وهبة الله ومعبد ومالك وابن عائشة ونافع بن طنبورة وعزة الميلاد وحباب وسلامة وبلبلة ولذة العيش وسعيدة والزرقاء وسعيدبن مسجح وابن سريج والغريض وابن محجر"[2] وعاشت المدينة ومكة لفن الغناء تسهران كل ليله على أوتار العيدان والطنابير والآلات الموسيقية من كل لون وفيها الغزل الصريح والفاحش.

[1] –محمد خاتمي، الدين والفكر في شرك الاستبداد ، ت ماجد الغرباوي ط2، دار الفكر المعاصر –دمشق (2004).

[2] –محمد سعيد العشماوي، الخلافة الاسلامية ،ط2،سينا للنشر –مصر (1992)، ص 144 .

ويضيف العشماوى "وهكذا في عز الخلافه الاموية وفى ضحى التاريخ الاسلام كان الفسق كثيرا والفجور سافرا يقع فى قصور الخلفاء ويحدث بين صفوف المسلمين فكانت الخمر والغناء واللواط والتخنث والتشبيب بالنساء وحدث ما لا يمكن ان يحدث فى وقتنا الحالى ان تصلى جاريه مخموره بالمسلمين بدلا من الخليفة وان يجاهر الخلفاء بالفسق والزندقه والفجور وان يسرع امير المؤمنين فى وضع مقصف له فوق الكعبة يلهو ويسكر ويتلوط فيه[1]"

الاهداف السياسية لدعوة الهادي الاصلاحية

حفظت لنا المصادر التاريخية جملة من الوثائق السياسية للهادي (خطب ، عهود سياسية لولاته ،مكاتبات) نستشف من خلالها بعض ملامح مشروعه السياسي والخطوط العامة لفكره السياسي كالتالى

1-اقامه دوله دينيه تتأسس على العقيدة وتشتق من التجربة المدينية التي اسسها للنبي (ص) والفكر السياسي للزيدية وتستند فى تشريعاتها على مصادر التشريع الاسلامى فهى دوله أخلاقيه تقوم على العدل الاجتماعي ومراعاة مبادئ وأهداف القران فى أقامه مجتمع عادل موحد .

2-تمارس سلطاتها السياسية والدينية على اساس مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على جميع الأفراد الخاضعين لسلطاتها وتسرى احكامها على الجميع من دون مراعاة للمكانة الاجتماعية والاقتصادية .

3- لا يتحدد مشروعه بأفق سياسي ولا يقف عند حدود جغرافية ولا يتأطر بأطر قومية او قبلية وانما بالمفهوم التقليدى للدولة الإسلامية حيث يتداخل فيه الاامتداد الديني مع الامتداد السياسي والرابطه الدينيه هى التى تحكم العلاقات الاجتماعية بين افرادها ومفهوم الامة لا القبليه الإطار السياسي والثقافي لها .

4- المفهوم القانونى للبيعه عباره عن عقد اجتماعى بين طرفين (الحاكم – والامه) يتم بموجبه تبادل الالتزامات والحقوق بين الطرفين وفي خطابه لأهل اليمن اشترط الهادي لهم على نفسه اربع خصال ان يحكم في بالكتاب والسنة وان يؤثرهم على نفسه فلا يتفضل عليهم بشئ من المال وان

[1] -نفس المصدر .

يتقدمهم عند مقابلة الاعداء وان يقدمهم عند العطاء وفي المقابل يشترط عليهم لنفسة السمع والطاعة[1] .

5- حق الامة فى مراقبه الحاكم ومحاسبتة. ولم يحدث فى التاريخ الاسلامى ان بالغ حاكم او او امير اوسلطان فى التاكيد على حق الامة فى محاسبته ومسائلته كما بالغ الهادى ومن كلام له فى الوثيقه السياسيه لدعوته "فأن خالفت طاعه الله فلا طاعه لى عليكم وان ملت اوعدلت عن كتاب الله وسنه رسوله فلا حجه لى عليكم "[2]. والإخلال بمقتضيات البيعة من قبل الطرف الأول وهو الحاكم يحل الطرف الثاني من اى التزام سياسي نحوه وإخلال الطرف الثانى يعطى الاول حق محاسبته .

6-المال العام حق للجميع ولا يجوز لأحد الاستئثار به روي عنه قوله "ما يمنع الفقراء معنا إذا لم نستأثر بشي من الأموال دونهم"

ومهما تكن البواعث ففي النهاية الهادي اختار التوجه لليمن وفي صفر(هـ284) وصل إلى صعدة وقد امضي فيها أربعة أشهر عمل إثنائها على تهدئه الأوضاع والإصلاح بين القبائل المتنازعة واستطاع الهادي أن يتوسع أفقيا وان يمد نفوذه شمالا باتجاه نجران وجنوبا باتجاه خيوان وصنعاء وذمار وصولا إلى عدن واستطاع الهادي أن ينتزع صنعاء من اسعد بن يعفر وفي غضون اربع سنوات اتسعت رقعة دولته "وأصبحت من نجران شمالا إلى عدن جنوبا[3] "

غير أن هذا التوسع كان أفقيا وعلى السطح ولأسباب موقوتة سنناقشها لاحقا لذلك سرعان ما قامت حركات تمرد وأعمال تخريب في معظم المناطق التي دخلت فى طاعته وخلال الفترة التى أمضاها الهادى فى اليمن منذ (284)إلى وفاته(298)قضى معظمها على ظهر جوداه فى مواجهه التمردات القبلية التي تحركها الزعامات المحلية والعشائرية وفى تقييم التجربة السياسية للهادي يمكن القول انه نجح في تحقيق الأمور التالية : 1-التأسيس لدوله زيدية تعتبر الدولة الإسلامية العربية الوحيدة التي واصلت حكمها وحافظت على كيانها أكثر من الف سنة 2-مكافحة

[1] -على بن محمد العلوي، سيرة الهادي ،تحقيق سهيل زكار ،ط2 دار الفكر -لبنان(1981) ، ص 48.

[2] -نفس المصدر، ص 49 .

[3] - حسين خضيري، مصدر سابق، ص 91.

العصبية الجاهلية بين القبائل المتصارعة حتى دانت له الرقاب ويعتبر المستشرق البريطاني ر.ب. سيرجنت" ان حضور الائمة الزيود كان يعنى من المحتمل بداية الاسلمة للشمال[1].

3-من القرن التاسع الميلادي أصبحت مدينة صعده اليمنية من عواصم الثقافة وذلك منذ أقام الهادي فيها وأسس فيها للمذهب الزيدى ومهما عجز الهادى عن توسيع رقعه دولته على اليمن فان عاصمته صعده لم تعجز عن التاسيس الثقافي ولعدد من المدارس الفكرية والفقهية [2] .

4-وضع حدا للفوضى السياسية التي كان يعيشها اليمن وان لم ينجح في القضاء عليها . وكما ترى فهي على أهميتها تبدوا متواضع مقارنه بأهداف المشروع السياسي للهادي ومقارنه بمؤهلات شخصيته المادية والمعنوية وجهوده التي كانت تكفى لأقامه إمبراطوريه مترامية الأطراف وهذه هي القضية المحورية لهذه المقاربة بالوقوف على العوامل والأسباب التي أعاقت جهود الهادي وعرقلت مساعي حركته الإصلاحية . .

-الضروف الموضوعية للمجتمع اليمني ومدى قدرتها على تحقيق المشروع الاصلاحي للهادي-

اولا: السمات الاساسية للمجتمع القبلي

تتفاوت المجتمعات فيما بينها فى ظروفها السياسية والاقتصادية ومستواها الحضاري وتركيبتها الاجتماعية وتوزيع القوه والسلطه بين قواها الاجتماعية والمحددات الاساسية لمكانه افرادها الاجتماعيه والترتيب لفئاته المهنيه وتصنف المجتمعات الانسانية لعده اصناف او مراحل لكل صنف او مرحله طابعه الخاص وتختلف النظريات الاجتماعية في نظرتها لمحدات البنية التحتية لانماط البناءات الفوقية و فى تقديرها لادوار كل محدد (سياسي،اقتصادي ،ديني،معرفي) في تشكيل وبلورة الاوضاع الاجتماعية .

والمجتمع القبلى يعد احد اشكال المجتمع البدائي يقوم تنظيمه الاجتماعي على القبيلة كوحدة سياسية واجتماعية واقتصادية وتعرف القبيلة "بانها نسق من التنظيم الاجتماعى

[1] – ورقة بعنوان الزيود ل ر.ب.سيرجنت منشورة على موقع مركز التراث والبحوث اليمني http://yemenhrc.com/articles.aspx .

[2] –عبدالله البردوني، اليمن الجمهوري (2006) ، ط6 .

يتضمن عده جماعات محليه مثل القرى والبلدات والعشائر وتغطى القبيله عادة اقليما معين وينتابها شعور قوى بالتضامن والوحده تستند الى مجموعه من العوامل الاوليه"[1]

ويلخص مسعود ضاهر ابرز سمات المجتمع القبلي كالتالي :

-العصبية وروح الجماعة المتماسكة

-التكاتف والتضامن في السراء والضراء

-الانتساب الى جذر عرقي واحد

-التفاهم بلغة او لهجة واحدة

-احترام عادت وتقاليد واحدة ومتوارثة

-التزاوج الداخلي القائم على افضلية الزواج من بنت العم والادعاء بوحدة الدم

-توزيع العمل وحصص الانتج بالتراضي

-تحديد دقيق للهرم التراتبي السلطوي داخل التجمع القبلي واعتراف الجميع به تحت طائلة العقاب

-الولاء للقبيلة دون سواها

-اقتصاد الكفاف اليومي او السنوي او انعدام التخطيط البعيد المدى

-فقدان المدن ومراكز الانتاج الكبرى الثابتة

-الشعور بالفردية وحب الذات في العلاقة بين افراد القبيلة

-السلطة السياسية للمشايخ محترمة شرط محافظتها على الشورى ضمن الاعـــراف القبلية المتوارثة

[1] -محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي ،ط1،مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت(2002)، ص 55 .

الاعتراف بسيطرة الذكر كعضو فاعل والنظرة الدونية للمراة

-حدود سيطرة القبيلة مبهمة لانها غير مستقرة

-اقتصار الثقافة البدوية على مجموعة العادات والتقاليد المتوارثة وانعدام الثقافة المكتوبة "[1]

ووعلى عكس ما هو شائع عن اخلاق المجتمعات البدوية يوكد مسعود ظاهر ان الفردية هي اهم سمات السلوك البدوي ومثله المستشرق الغربي بروكلمان في اعتقاده ان"البدوى كان فردي النزعه مفرط الانانية قبل كل شيئ ولا تزال بعض الاحاديث تسمح للعربي الداخل في الاسلام ان يقول في دعاءه اللهم ارحمني ومحمد ولا ترحم معنا احدا[2] "

وكلام بروكلمان لا يخلو من المبالغة وقد يصدق على القبائل التي لم تتطلف اخلاقها بالاسلام او المغرقة في البدوية لان المجتمعات القبلية فيها مستويات كالبدو الرحل التي لا تعرف حياة الاستقرار وتعتمد على الرعي وتربية الحيوانات والغزو وهي تختلف الى حد ما عن القبائل المستقرة التي تعتمد على الزراعة ,وبعض المجتمعات القبلية تطورت فيها التجارة وشهدت بعض مظاهر الحياة المدنية كمكة في الجاهلية واليمن على عهد الممالك القديمة المعينية والسبئية والحميرية .

والولاء السياسي في المجتمع القبلي يكون للقبيلة وليس للسلطة المركزية و العصبية هي مصدر القوة والتضامن السياسيي للقبيله ويعرف الجابري العصبيه "بانها رابطه اجتماعيه شعوريه ولا شعوريه معا تربط افراد وجامعة ما علاقه قائمه على القرابه والنسب عما يكون هناك خطر يتهدد اولئك الافراد"[3]

[1] -مسعود ظاهر، المشرق العربي المعاصرمن البداوة الى الدولة الحديثة ط1،معهد الانماء العربي ،بيروت (1986)، ص 36.

[2] - كارل بروكلمان ،تاريخ الشعوب العربية تنبيه امين فارس ومنير البعلبكي ط5،دار العلم للملايين –بيروت (1973)، ص 18 .

[3]-محمد عابد الجابري، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي ،مركز دراسات الوحدة العربية –بيروت (1994)، ص 168.

ورابطة النسب في المجتمع القبلي هي رابطة وهمية وليست حقيقية رغم أن "ابن خلدون" اعتبر أن النسب هو أساس أية عصبية، فإن النسب عنده مجرد أمر وهمي لا حقيقي فاختلاط الانساب هو الظاهرة السائدة إلا أن حاجة البدو إلى آلية قوية ومستمرة للدفاع المشترك هي ما يفسر لجوء البدو إلى النسب واحتماؤهم بالجينيالوجيا كإيديولوجيا لصياغة وإعادة صياغة النظام الاجتماعي وتدعيم لحمة الجماعة وتعاضدها[1] .

و تتحدد مكانه الفرد والعلاقات الاجتماعية بين افراد القبيله وحقوقهم السياسيه والاجتماعيه وفقا لعوامل عسكرية باعتبار الطابع الحربى للقبيله فالبدوى انسان محارب كما تقول الدراسات الاجتماعيه اضافة الى العامل الاقتصادي

وتفرض العصبيه وايدلوجيه التضامن القبلى التداخل في المسؤوليه القانونية الجماعية والفردية على قاعدة انصر اخاك ظالما او مظلوما حيث العائلة والعشيرة وليس الفرد هي وحدة التعامل .

ويرتبط هذا بالضروف الاقتصاديه القاسيه للمجتمع القبلى فهو اقتصاد يقوم على الكفاف والاستغلال البدائى للطبيعة او للارض ومعرض لكثير من الازمات وخاضع للتقلبات المناخيه فى كثير من الاحيان للارض ولايسمح بقيام وضع طبقي بمفهوم الماديه التاريخية.

ثانيا :تطور الاوضاع الاجتماعية والسياسية في اليمن الى قدوم الهادي :

المجتمع اليمنى تاريخيا مجتمع قبلي تعتبر القبيلة فيه هى المكون الرئيسى واكثر العناصر الاجتماعيه والسياسيه فاعلية فيه ومع ان اليمن من بين كل القوميات فى الجزيره العربيه قامت فيه ممالك قوية و ازدهرت فيه حياة مدنية وحضارية راقيه لازالت معالمها قائمه حتى الان تشهد على المستوى الحضاري والرفاه الاقتصادى وامتداد نفوذها السياسي. وقد شهدت اوج ازدهارها فى عهد الدولة السبئية التى تعد اهم الممالك اليمنية القديمة التي امتد نفوذها من الجنوب العربى الى شمال الجزيرة العربية .

[1] – دراسة غير منشورة عن السلوك الانتخابي لقبائل المغرب، ص 27.

ساعدها في ذلك تراكم الفائض الاقتصادي الناتج عن تطور القطاع الزراعي والتجاري الذي لعب دورا كبيرا فى الازدهار الحضاري والتطور فى الحياه المدنيه وفى قيام دولة مركزيه قويه وحدت اليمن سياسيا تحت سلطتها فاليمن في هذا التاريخ همزة وصل بين الشرق والغرب فمضيق باب المندب كان بمثابة الشريان الرئيسئ للتجارة في العالم القديم, ما هيأ لقوافل سبأ ومن قبلها معين ادارة دفة التجارة بين الشرق والغرب , وقد استطاعت هذه الحكومات الحفاظ على مركزها بابقاء البحر الاحمر مغلقا والتحكم بالموانى البحرية فيه حيث القوافل اليمنية هى وحدها التى تنقل بضائع الشرق الى بلدان الغرب والعكس [1].

وقد أسهم النمو الاقتصادى بشكل كبير في بلورة الاوضاع الساسيه والاجتاعيه والاقتصاديه لكنها لم تستطع تجاوز القبيلة وظل تاثيرها على الطابع القبلى للمجتمع محدودا واستمرت الروابط القبلية على اشدها وتعايشت جنبا الى جنب الاستقراطية الاقطاعية والنظام الملكى والنظام القبلى القديم[2]..."

و الدولة فى هذا العصر كانت عبارة عن قبيلة استطاعت بما توافر لها من اسباب القوه المعنوية والمادية ان تفرض نفوذها على بقيه القبائل والوحدات الاجتماعية وظمها الى سلطتها، و حتى تظمن ولاء القبيلة ولتمرير الاجراءات والتشريعات التي تتخذها عمدت الدولة الى دمج زعماء القبائل في تشكيلتها السياسيه" وتقليدهم مناصب سامية وتفويضهم في ادارة الاقاليم التابعة لهم وجمع الضرائب [3]..."

وفى القرن الأول الميلادي فقدت اليمن مصدرا هاما من مصادر تراكم الفائض الاقتصادي عندما اهتدى البحار اليونانى" هيبالوس" الى معرفه اتجاه الريح الموسمية وما كان لذلك الاكتشاف من اثر فى تحويل طريق التجارة البحرية حيث اخذت السفن الهنديه وغيرها تعبر المحيط الهندى الى الهند رأسا "الشرق الادنى[4]"

[1] –احمد شرف الدين اليمن عبر التاريخ دراسة جغرافية تاريخية سياسية شاملة (1964)، ط2، ص 136.

[2] –توفيق المديني المجتمع المدني والدولة السياسية في الوطن العربي/منشورات اتحاد الكتاب العرب، (1997)، ص 295 .

[3] – المصدر السابق، ص 306 .

[4] –شرف الدين مصدر سابق، ص 137 .

وحدث ثان لعب دورا في فقدان اليمن لحيويتها السياسية والاقتصادية هو انكسار السد المعروف بسيل العرم ما دفع باعداد كبيرة الى الهجره الى الشمال والحدث الثالث الاحتلال الخارجي من قبل الاحباش لليمن ثم من بعدهم الفرس وقبيل ظهور الاسلام كانت اليمن قد فقد امنها واستقرارها واستقلالها.

وشكل بزوغ فجر الاسلام ايذانا بعصر جديد ومنعطفا عقديا وسياسيا في تاريخ العرب والعالم وثورة شاملة على الاوضاع القائمة السياسية والدينية والاجتماعية القائمة في المجتع العربي ،فالدعوة الاسلامية في مظهرها العقدى والسياسي والاجتماعي تعد نفيا للنظام القبلي القائم على الاعتصاب للقبيله وتجاوزا للقبيلة وكانت مساعي النبي (ص) تاتي لتفكيك النظام الاجتماعي القديم واعادة بناء المجتمع على اساس مفهوم الامة البديل السياسي والثقافي للقبيلة وفي سبيل ذلك عمد محمد (ص)الى مجموعه من الاجراءت احدثت نقلة نوعية في تركيبه المجتمع المديني و هذا التطور الذى حدث لمجتمع المدينة لم يحدث وبنفس المستوى للمجتمعات التى كانت اسلمت اسلاما سياسيا او اعلنت انظمامها الى دوله الرسول (ص)"وكان البدو والاعراب ابعد ما يكونوا عن الاسلام سواء فى العقيده او فى الثقافة "ولذلك استمر القانون القبلى فى اوساطهم رغم انتمائهم للاسلام[1]... ", وبالرغم من ذلك فالقبيله لم تزل كل رواسبها من النفوس وعقيب وفات الرسول كانت بعض الصراعات والخصومات السياسيه تعكس اصطفافا قبليا وان فى حدود ومنذ تولى معاويه الحكم(40هـ) عمل على اعاده بناء القبيلة وكان انتصار الاخير علي "انتصارا للقبيلة وثقافتها على العقيده وثقافتها[2] " .

وبخصوص اليمن فان القبائل اليمنية بدا من العام(628 م) اخذت في الانضمام الى الإسلام وإرسال مبعوثيها الى المدينه لمقابلة النبى (ص) وظل انتشار الإسلام في اليمن محدودا الى مجيء علي بن ابى طالب مبعوثا للرسول (ص) عام(8) هجرى فأسلمت قبائل همدان وتبعتها القبائل الاخرى. ومع ان اليمن اصبحت من ناحية سياسية امارة تتبع نظام الخلافة في المدينة الا انها لم تكن تنظر لليمن باهتمام كبير ومع تحول عاصمة الدولة الاسلامية الي الشام ومن بعدها بغداد اصبحت اليمن مجرد خزان يمد الدولة بالمال والمقاتلين ولذلك لم تشهد اليمن تحولا اجتماعيا وكما

[1] – توفيق المديني ،مصدر سابق، ص 366.

[2] –نفس المصدر، ص 376.

يقول فقد"عجز الاسلام عن تعديل الاحوال الاجتماعيه والسياسيه تعديلا جوهريا ذلك ان لحكام الارستقراطيين ظلوا يفرضون سلطتهم على مناطق نفوذهم من غير ان يجدوا معارضة من ممثل الخليفه فى صنعاء[1]"

فلم يتاثر النظام القبلى كثيرا بالاسلام وظلت القبيلة اليمنية تحتفظ بوضعها كوحده سياسيه واجتماعيه واقتصاديه متكامله ومستقله وبدورها كلاعب فاعل فى كل احداث اليمن السياسية والاقتصادية والاجتماعية في هذا العصر والعصور اللاحقة . وقد استقر التقسيم القبلى –بحسب دراسة المرصد اليمني لحقوق الانسان–مع ظهور الاسلام على اربعه اتحادات قبليه هى حمير ومذحج وكنده وهمدان يتكون جمع همدان من قبيلتين كبيرتين حاشد وبكيل وتستوطنان المناطق الشماليه ويكون مجمع مذحج من ثلاث قبائل هى عنس ,مراد ,الحدا وتعيش فى المناطق الشرقيه من اليمن اما قبائل حمير فقد سكنت المناطق الجبليه الجنوبيه والهضاب الوسطى[2] ..."

. وتشير الدراسة الى ان عوامل سيايه واقتصاديه فى العصورالوسطى والعصر الحديث افرزت توزيعا جديدا للقبائل اليمنيه فنضمت مذحج الى بكيل وبعض قبائل حمير الى حاشد فالبنيه القبليه لليمن لا تتحدد بالقرابة فقط وانما بمحددات سياسية واقتصادية[3]..." وكل اتحاد من هذه الاتحادات يتشكل من وحدات اجتماعية اصغر تتحالف حينا وحينا تتحارب تبعا لضرورات ومصالح مؤقتة ومتبدلة باستمرار .

ولحظة قدوم الهادى كانت اليمن تعانى اوضاعا سياسية واجتماعية شاذة ومضطربة تتنازعها فيمابينها عدت دويلات واقطاعيات متصارعة مع فراغ سياسي في المناطق الشمالية والصراعات والحروب القبليه لم تكن لتنتهى تخرج من حرب لتدخل فى اخرى، وتنهك قوى المجتمع وتستنزف موارده فى حروب عبثية . وظاهرة الفوضى السياسية
و التمزق الاجتماعي التي كانت تعيشها اليمن هي افرازا لعوامل سياسية واجتماعية ودينية وجغرافية, فمن ناحية سياسية كان ضعف السلطة المركزية للعباسيين والانتفاضات المتكررة فى

[1] –بوكلمان ،مصدر سابق، ص 226 .

[2] –مجموعة من الباحثين، القصر والديوان الدور السياسي للقبيلة في اليمن ،المرصد اليمني لحقوق الانسان –صنعاء (2009)، ص 17.

[3] – نفس المصدر، ص 15.

العراق والكوفة والبحرين وفساد الولاة وإرهاب الفلاحين والمزارعين تغرى بالانتفاضة على السلطة المركزيه, وكان بعد اليمن عن مقر الخلافه يزيد من رصيده ويجعل افئده من الطامعين والمعارضين السياسيين واصحاب الدعوات الاصلاحيه تهوى اليه, اضافة الى انصراف السلطات المركزية في دمشق ومن بعدها بغداد الى الاقطار التي تم فتحها في الشام وبلاد فارس ومصر والتي تمتاز بثرائها مقارنه بالعائدات الشحيحة التي توفرها اليمن للخزينة العامة، ورغم ان الترعة الاستقلالية قد بدات ارهاصاتها في عهد الدولة الاموية الا ان قصر عمرها حال دون تكامل اسباب الانفصال و اجلها الى عهد الدولة العباسية[1] .

والدول المتنافسة على الحكم في اليمن في هذه الفترة هي الدولة الزيادية (205-402) في تهامه, والدولة اليعفرية (225-393) في شبام كوكبان, والدولة الاسماعيلية فى عدن لاعه اضافة لبعض الزعامات العشائرية والاقطاعية كالدعام ببكيل والاكيليين بعلاف وال طريف وال الضحاك واخرون.

كانت هذه هى معطيات الواقع السياسي اليمني وعلى المستوى الاسلامى الدولة المركزي"المستقرة"بلغة ابن خلدون في بغداد وان كانت قد دخلت مرحلت الهرم وهذا يعطى فرصة للنجاح ويشكل عاملا ربما يساعد الهادى على تحقيق اهدافه لكن ليس الى حدود بعيدة فمظاهر الضعف للدولة العباسية كانت لا زالت فى بدايتها و لم تكن الدولة قد اخذت "مأخذها من الهرم " والعجز التام عن المسير وتجهيز قوة عسكرية الى اليمن فهي وان تاخرت فى ارسالها الى (290هـ)نظرا لحاجتها اليها لقمع الانتفاضات التى قامت فى بلاد الشام والعراق فان المستكفى العباسى جهز احد رجاله المعروف (بجفتم)على راس قوه الى اليمن لمواجه الهادى الا انه بدلا من المواجهة مع الهادي اصطدم بالامير اليعفري اسعد بن يعفر[2].

والايجابية في بعد اليمن عن مركز الخلافة ينتقص منها ان وقوع اليمن فى اطراف البلاد الاسلاميه يقلل من فرص قيام دولة كبرى يمتد نفوذها الى اغلب بلدان العالم الاسلامى او الجزء الاكبر منها فموقع اليمن في جغرافية العالم الاسلامي لا يوفر امكانية لاكثر من قيام امارة قطرية

[1] – سيف الدين القصير، ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن،دار الينابيع –دمشق (1993)، ص 18 .

[2] –حسين خضيري،مصدر سابق، ص 99 .

مع ما يتطلبه ذلك من توفر شروط اقتصاديه وعسكريه وتسهيلات اجتماعيه لا توفرهما اليمن واذا كان بامكان الهادى الاستفادة من حالة التذمر السياسي والحاجه الى الاستقرار والتقاط الانفاس للمجتمع المنهك من الحروب الاهليه ومن الفراغ السياسي الموجود خاصة فى صعدة والمناطق المجاورة فى استقطاب الانصار لكن كما هو واضح لم يكن الهادى الشخصية السياسية الوحيدة المتواجدة على الساحة اليمنية فهناك من كان قد سبقه اليها من اصحاب الدعوات الدينية والتطلعات السياسية كال زياد وال يعفر وال طريف وعلى بن الفضل وابن حوشب وزعامات عشائرية محلية .

والهادى وان كان بماله من جاذبية دينيةو سياسية ومكانة علمية ومؤهلات قيادية تفوق مالدى منافسيه وتجعله الاوفر حضا بينهم الا ان وجودها سيعيقه من تحقيق اهدافه الطموحه واحتمال تجاوها مرهون بالشروط الاجتماعية والاقتصادية الجيدة التي توفرها له اليمن والتى تمكن من خلق وحده سياسية سهلة من رحم هذه الفوضى والاضطراب تشكل قاعده ينطلق منها الى الوحدات السياسيه الاخرى وصولا الى عاصمه الدوله التى يعتبر ابن خلدون ان سقوطها سقوط لجميع الاطراف

ثالثا انعكاسات الاوضاع السياسية والاجتماعية على تجربة الهادي السياسية

1-القبيلة ودولة الهادي وجها لوجه(مقاومة السلطة المركزية)

سبق ان الهادى صاحب مشروع اصلاحى وان مشروعه السياسي مشتق من الفكر السياسي الزيديه ومن التجربه السياسيه للنبى محمد (ص)ويسعى لاقامه دوله تتحدد ثقافيا وسياسيا .بمفهوم" الامة" ولذلك اول عمل دشنه الهادى هو الاصلاح بين قبيلتى سعد والربيعة في صعدة وانهاء حرب طاحنة استمرت لزمن بينهما والمؤاخاة بين الفئات المتقاتلة تيمنا بعمليه المؤاخاه بين الانصار والمهاجرين التى افتتح بها الرسول اعمال دعوته[1].

[1] -العلوي، مصدر سابق. ص 41 .

ولحظة دخول الهادى اليمن كان لفيفا من القبائل تعيش حربا اهليه لا تتوقف فيما بينها وكانت الدعوه الاصلاحيه والمشروع السياسي للهادى تشكل تجاوزا للنظام القبلى القائم والسلطة الاجتماعية للزعامات العشائريه و القبيله التى تقوم على اساس الوعي العصبي

ومن الطبيعى ان تصطدم دعوه الهادى مع طبيعة النظام القبلى فى اليمن و تعارض اهدافها فى اقامة دولة مركزيه يطمح الهادى ان يمتد نفوذها الى خارج اليمن ،"لان السلطه المركزيه هى النقيض التارخى للسلطه القبليه وكلاهما يلغى الاخر سياسيا واقتصاديا واجتماعيا[1] " ولان القبيلة هى نظام سياسى ماقبل دولتي .

ومع ان المجتمع العربى مجتمع قبلى الا ان اليمن يتميز بوفرة قبائله وكلما كثرة القبائل تضائلت فرص نجاح مشروع الدولة يقول ابن خلدون" ان الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل ان تستحكم فيها دوله[2] " .

ويستشهد ابن خلدون لذلك بحظ الدولة الاسلامية بمصر والشام وبلاد فارس والعراق لقلة القبائل والعصبيات فشأنها كما يقول ابن خلدون"انما هو سلطان ورعية" بخلاف حظها مع قبائل البربر بافريقيا والمغرب .
ويعزز طه حسين فى دراسته عن ابن خلدون فكرة الاخير بمزيد من الشواهد التى تدل على صدق ملاحظته" فالرومان على حذقهم فى الحرب كانوا فى حرب دائمة مع شعوب شمال افريقيا ,والعثمانيون لم يضفروا الا بسلطه اسميه فى ساحل البحر المتوسط ،والفرنسيون عانوا المشقات فى سبيل بسط حظارتهم فى مراكش وعجز الرومان والاسلام عن تلطيف اخلاق هذه القبائل[3]"

والظروف القبلية في اليمن تقترب الى حد كبير من مناطق القبائل فى افريقيا, من حيث كثرة القبائل و مقاومة الدولة المركزية و ليس من طبيعة القبيلة الاستجابة للمشاريع الكبيرة بسهولة

[1] –مسعود ظاهر، مصدر سابق، ص 42 .

[2] – –عبدالرحمن بن خلدون ،المقدمة ،دار الفكر –بيروت، ص 205.

[3] ––طه حسين، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ،ت محمد عبدالله عناق ـط1 مطبعة الاعتماد –مصر (1925)، ص 108 .

وتحتاج لعمليات تكييف وتطويع طويلة المدى تنجزعلى مراحل, وتفكيك للروابط والوشائج القبليه واحلال روابط مابعد قبليه محلها .

لقد عمل الهادى منذ لحظه وصوله على انهاء النزاع الدائم بين القبائل اليمنيه وركز جهوده على انهاء حاله التوتر القائمه فى البلاد والتمزق الاجتماعى فاوقف النزاع القائم بين الاكيلين والفاطميين واصلح بين القبائل المتقاتلة فى نجران وهمدان وغيرها من القبائل وكان نجاح الهادى فى الاصلاح بين القبائل يزيد من شعبيته ورصيده السياسى وحقق تقدما لافتا فى صعده ونجران وما حولهما وقد شجعه هذا على المضى قدما فى مشروعه السياسي وضم المناطق الاخرى التى لم تكن تبدى مقاومة تذكر او يفتحها فتحا سياسيا فدخل شبام عاصمة اليعفريين بدون قتال ومنها تحرك الى صنعاء التي سلمت له راضية و لم يكن يقيم الهادي في أي منطقة يدخلها الا ريثما يرتب اوضاعها ويعالج ما يحتاج منها لمعالجة شرعية وقانونيةولذلك لم يتاخر في صنعاء ليتحرك جنوبا الى ذمار التي بايعت الهادي وفي غضون اربعة اعوام حقق الهادي انجازا سياسيا يعد قياسيا

.بملاحظة ظروف اليمن الاجتماعية والاقتصادية واصبحت دولته تضم الجزء الاكبر من اليمن وتمتد من من نجران شمالا الى عدن جنوبا كما جاء في بعض الروايات .

لكن هذا التقدم لم يكتب له الاستمرار بنفس الوتيره ودارالبندول لغير صالح الامام فكما هى العاد فى المجتمع القبلى الولاء والطاعة الذى تقدمة القبيلة يخضع لاعتبارات وقتية وتفرضه مصالح نفعية و لم يكن تحويل الولاء السياسي من حاكم الى اخر يعتبر انتهازية سياسية ولا عملا معيبا فى الثقافه القبليه .

فلم تجد القبائل التى اعلنت ولائها للهادى اى حرج من الانقلاب عليه وكان تنامى السلطه المركزيه لدول الهادى ياتي على حساب القبيلة كمؤسسه سياسيه ممثلة في شيوخها وتحد من سلطتهم بقدر ما تظفر به الدوله المركزية، ذلك ان العلاقه بين الدوله والقبيلة كمؤسستين تخضع لقانون" المحصلة الصفريه" وفقا لمفهوم س رايت ميلز للسلطه باعتبارها كما ثابتا تتوزعه القوى السياسية والاجتماعيه في أي مجتمع واي زيادة فى سلطة اى منهما تعني الانتقاص من سلطة الاطراف الاخرى[1]...

[1] -مجموعة من الباحثين، مصدر سابق، ص 44.

وللحفاظ على سلطتها امام زحف القوة السياسية للهادى عمدت الزعامات المحلية الى اعاقة جهود الهادى باثارة الفوضى واعمال الشغب .وتحريض القبائل متوسلين بقيم الثقافة القبلية وكانت نجران وصنعاء التي دخلها اربع مرات اكثر المناطق اضطرابا ,كما حصلت تمـــردات وفوضـــى فى وشحة واثافت وخيوان وفى صعدة وهمدان وكان اول تمرد التمرد الذى قاده ابو دغيش الشهابى فى وشحة برفض دفع الزكاة الى عامل الامام وكانت جباية الواجبات هى احدى الاشـــكاليات التى واجهت دولة الهادى مع زعماء وشيوخ العشائر الذين ينظرون اليها كجـــزء اختـــصاصهم وكان هذا عرفا سائدا ترجع اصوله الى عهد الممالك اليمنيه القديمة ،فهم من يديرون الاقاليم التابعه لهم ويتولون جمع الضرائب. وتاريخيا شكلت القبيلة اليمنية منطقه عازلة بين الدولة وافراد المجتمع فليس للدوله سلطة مباشرة على الافراد فهى بواسطه شيوخ القبائل خاصه فى القرى والارياف , وكان هذا العرف التقليدى يتعارض مع اهداف دولة الهادى التي تصر على ان هذه الاشياء تقـــع ضمن مسؤولياتها ولذلك من الطبيعى ان ينظر هؤلاء الى دوله الهادى بكثير من الحذر والريبـــه0 وكما تؤكد الدراسات السويولوجيه والانثروبولجيه عقليه القبيله شقاقيه ثقافيه يغلب على سلوكها السياسيه العدائيه ويقوم على الثقافة الثأرية ولم تكن اعمال الشغب والتمرد تكلـــف متزعميهـــا اعدادت مسبقة نظرا للطابع الحربى للمجتمع القبلى فبحسب دراسة المرصد الـــيمنى" القبائـــل اليمنيه كانت على استعداد دائم للقتال مع اى كان ضد اى كان[1]" .

خاصه وان مناطق التمرد كانت تعيش حاله فوضى سياسيه قبل دخول الهادى نتيجه للفـــراغ السياسي وكانت هذه العوامل اضافة الى عوامل اخرى سنأتى عليها توسع الهوة بـــين الهـــادى وشيوخ القبائل وتظاعف من تعقيدات الواقع السياسي والاجتماعى وقد تبرم الهادى لهذا الوضـــع المعقد و صرح اكثر من مرة عن ظيقه بهذا الواقع وما وصلت اليه الامور وانه لولا خوفه علـــى ضياع ما قد انجزه ما اقام فى اليمن او كما قال "لولا اني اخاف ضيعه الاسلام لما اقمت باليمن[2]" .

2-طبيعة السياسة المبدئية للهادي

[1] -نفس المصدر ص 119.

[2] - حسين خضيري مصدر سابق ص 75 .

يعلل المؤرخ الاجتماعى المصرى جورجي زيدان نجاح العباسيين فى سياق السباق على الخلافة مع خصومهم العلويين ان هؤلاء ارادوها دولة تقوم على التقوي والدين فقط معتمدين على صدق تدينهم وشرف نسبهم[1] .

ويرى الاديب العربى عباس العقاد ان اخفاق علي فى مقابلة معاوية يـــرجح الى الـــضروف الاجتماعية والتحولات السياسية والدينية التى كانت تعمل لصالح السياسه النفعية لملك معاوية ولا تساعد السياسة المتدينة لخلافه علي وقد ناقش العقاد ما اسماها بالأحكام المرتجلة فى تقييم سياسة الإمام علي الميدانية[2] .

ولسنا هنا بصدد تقييم السلوك السياسي لعلي أو المعارضة السياسية الشيعية عموما بقدر ما نهدف الى بيان طبيعة المشروع السياسي للعلويين والشيعة والهادي الرسي كامتداد لهذا التيار الدينى والسياسي .

فالمعارضة السياسية الشيعية عرفت في التاريخ الاسلامى باعتبارها تمثل ايديولوجيا المستضعفين والعدالة الاجتماعية وتمفصل فكرها السياسي على العقيدة ،وتتسم سياسة قيادات البيت العلوي بالمبدئية (صدق التدين)فى مقابل السياسه المكيافيلية البرجماتيه لخـــصومهم التـــاريخيين الامـــويين والعباسيين.

فعلى بدايه عهده السياسي في ضروف سياسية واجتماعية بالغة التعقيـــد نـــصح بعـــض مستشاري الامام علي باتخاذ بعض التدابير السياسية التكتيكية التى قد تضمن له احراز النـــصر السياسي الا انه رفض بكل حسم الوسائل الميكيافيليه حتى وان كانت النتائج مكلفة ورد عليهم بقوله (اتأمرونى ان اطلب النصر بالجور فيما وليت عليه)ولعل الامام علي فـــضل ان يعمـــل بمقتضى الحكمة المنسوبة ليسوع المسيح (ع)"ما الفائدة ان تربح العالم وتخسر نفسك ".

والفكر السياسي للهادي هو امتداد لهذه المدرسة روى عنه انه كان يقول "ان هى الا ســـيره علي او النار" وكان يترجم بسلوكة السياسي عقيدته السياسية و مبادئ العقيـــدة ومقـــرارات الشريعة واجتهاداتة الفقهية وفي خطاب له الى اهل اليمن اكد على اهمية التوافق على الاحتكـــام

[1] --جرجي زيدان ،تاريخ التمدن الاسلامي ،المجلد الثاني، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان ص 400 .

[2] --عباس العقاد، عبقرية الامام علي ،دار الكتاب العربي ،بيروت (1968).

الى تعاليم الدين في الحياة العملية ومكافحة الجريمة الانحراف و المساوي الاجتماعية وعلى ان تدور سلوكياتهم السياسيه والاجتماعية والاقتصادية على هذا الاساس او كما جاء فى خطبته "ما جائنا من الكتاب اتبعناه وما نهانا عنه اجتنبناه ...والى ان نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر نحن وانتم ونفعله وننهى نحن وانتم عن المنكر جاهدين ونتركه[1]"(40) .

وكان يحرص فى اختياره لولاته وتعيين القضاة وفي القرارات التي تتخذها دولته على مراعاة هذه المقاييس يروى صاحب سيرته ان حسن بن علي بن فطيم وعبد الله بن حذيف من اصحابه جاءا ليراجعاه بشأن المقادير التي فرضها على الاموال على اساس انها لا توفر مردودا مناسبا فأقسم انه لو تنطبق السماء على الارض حتى تختلف ضلوعه ما اخذ غير الحق ابدا وفى روايه يقول "والله لا اصلحكم بفساد نفسى "وكان واثقا من احتكام سياسته الى الكتاب والسنه لدرجة ان احدا لا يستطيع كما جاء في كلامه(اثبات اننا خالفنا حكم الكتاب والسنة) وكان اصراره على التمسك بالشريعة وراء مغادرته اليمن فى المرة الاولى , تروى المصادر التاريخية ان احد وجهاء ال طريف كان متهما بالانحراف صودف مخمورا اثناء وصول الهادى قبيله الشرفه من نهم فاصر الهادى على تأديبه فمانع القوم ممن بايعوه في تسليمه ماتسبب فى غضب الهادى ومغادرته اليمن ، وفي عام(285هـ) فكر جديا فى مغادرة اليمن ثانية احتجاجا على ما ارتكبه جنوده من اعمال نهب لا اثافت بعد انسحاب الدعام الارجى منها قال صاحب انباء الزمن "فلم يزل بعض الاعيان يسترضته ويستعطفه فلم يقبل حتى ارجعوا جميع ما اخذوه"[2].

وقد اصطدمت السياسه المبدائية للهادي بالنزعة البرجماتية لرموز النظام القبلي كما سياتي ولاتجيز طبيعة سياسة الهادي التوسل بالعلاقات القبليه واستخدام الاساليب الميكيافيلية،ولا تقبل دمج هذه الزعامات في التركيبة السياسية لدوله الهادى على ما هم عليه من التزف والانانية وتغليب المصالح الذاتية والانتهازية السياسية , واستبعاد الهادي لبعض الزعامات العشائرية كان على هذا الاساس فهو لا يقصد الى استبعاد هذه الشريحة من المجتمع من حيث المبدا ، وقد تضمن رفض الهادى طلب الدعام(زعيم قبلي اختلف مع الهادي في البداية ثم اخلص له) الولاية على الجهات التي كان عليها الحيثيات التى بنى عليها موقفه الرافض يقول "والله ولا ساعه واحدة الا على ما

[1] -علي بن محمد العلوي، مصدر سابق، ص ـ48 .

[2] --انباء الزمن في اخبار اليمن من ستة 280-322، مكتبة الثقافة الدينية، ص 17 .

أمره به من الحكم بكتاب الله وسنة رسوله فان أجاب إلى ذلك وأطاع الله وأطاعنا فى ما نأمر به واخذ الحق ممن وجب عليه من قريب أو بعيد أو شريف أو دنى ولينا وإلا فلا..."[1]. وموقف الهادي من الدعام يعود بالذاكرة إلى موقف الامام علي الرافض لبقاء معاوية فى السلطة ولو لأيام أو كما قال "لا والله لا استعمل معاوية ليومين "وكان بعض مستشاريه قد اشاروا انه قد يكون من المفيد كتكتيك سياسي الإبقاء على معاوية لبعض الوقت

وقد يختلف الباحثون فى الحكم على موقف الهادي من القوى القبلية وتتفاوت وجهات النظر فى مدى واقعية السياسية المبدئية والى اى مدى يجب أن تخضع السياسة للايدولوجيا ،والحد الذي يجب أن تكون برجماتية وقد يقال ان من الحنكة السياسية ابقاء هذه الفئة على مواقعها السياسية ...الخ ..وهذا يتطلب بحثا مستقلا ،لكن سنعرض له بشكل اجمالي .

فكما سبق الطابع العام لسياسة لهادي هو "صدق التدين" وخضوعها لاعتبارات إيديولوجيه ومفصلتها السياسة على العقيدة" هذا بحد ذاته يشكل اختراقا للقبيلة" لكن هذا لايعنى انه لا يدخلها قدر من البرجماتية بالمطلق وانتفاء المرونة السياسية عنها فالواقع له شروطه وظروفه التي لا يسمح في كثيرمن الاحيان بتجاوزها والهادي كان مضطرا في كثير من الأحيان للتعامل مع شروط وظروف الواقع فيدخل في تحالفات ويتخذ بعض الاجراءات التكتيكية

فالسياسة النفعية التي يرفضها الهادي هي تلك التي لا تتورع عن استخدام أي وسيلة تحقق غايتتها على قاعدة الغاية تبرر الوسيلة" والسياسة المبدئية للهادي كما يوحى كلامه فى مناسبات مختلفة انه لا يسعى لتحقيق مكاسب سياسيه على حساب التضحية بمبادئه السياسة وقناعاته الدينية وحسابات الربح والخسارة لا تقوم على اعتبارات مادية صرفة ،من ذلك ماروي ان الهادي كان بحاجة إلى مزيد من الأموال للاحتفاظ بصنعاء وكان باستطاعته الاحتفاظ بها عن طريق فرض المزيد من الضرائب اوبارغام التجار فى صنعاء على دفع الأموال اللازمة . وقد حاول الهادي الحصول على قرض إلا إن أهل صنعاء خذلوه ففضل الانسحاب و خسر بذلك منطقه من اهم مناطق اليمن حيوية لكنه على المدى البعيد ربح ايضا هل لو تبنى الهادي سياسة اقرب الى

[1] – العلوي، مصدر سابق ص92.

البرجماتية مع القوى القبلية كان سيحقق نتائج افضل ؟ قوى سياسية سبقة الهادي وعاصرته جربت ذلك و لم تحقق افضل مما حققه الهادي .

لقد كان من نتائج سعى الحكام المسلمين بدا من (40هـ) لانجاز مكاسب سياسية عاجلة وتحقيق انتصارات انية بالاستعانة بكل الوسائل المشروع منها وغير المشروع أن أسسوا على المدى الطويل لهزائم أخلاقية وحضارية وسياسية تحولت مع الزمن إلى عاهة حضارية مستعصية ولعل هذا هو الجرم الذي عناه احد المؤرخين العرب المعاصرين بقوله ان من ينظر الى واقع العرب اليوم يخيل اليه ان هذا الشعب ارتكب في الماضي جريمة بحق العالم استحق بها ماهو عليه من الهوان والذل والهزيمة والانحطاط . حاول
الهادي ان يسابق الزمن للوصول إلى أهدافه ألطموحه وحاول أن يقهر الواقع القبلي الذي أعاقه كثيرا وأرهق نفسه وأتباعة لارغامة على الاستجابة لمشروعه وانجاز طفرة اجتماعية وسياسية لم يكن اليمن مهيئا وقد يكون أدرك مؤخرا تعقيدات الوضع الاجتماعي اليمنى وقد يكون اخطا التقديرات لكن لا يعنى ذلك ان لاستسلام الكامل لهذا الواقع هو الحل بقدر ما ينعنى ان اليمن ربما ليست البيئة المناسبة لانجاز مشروع كبير كالذي رسمه الهادي لنفسه والعمر السياسي لدولته كان اقصر من العمر الزمني المفترض لإحداث تحول ثقافي وسياسي يفضى إلى تجاوز او تكييف النظام القبلي

3-الاصول والخصائص الاجتماعية للقوى المناوئة للهادي وطبيعة دورها السياسي:

معرفه الأصول الاجتماعية للقوى والنخب السياسية المناوئة للهادي يعد مدخلا يسهم فى تفسير الحراك الاجتماعي والسياسي وفي تطورات الأحداث العامة لما تمسكه بيدها من خيوط أللعبة السياسية ومن قدرة على التأثير والمساهمة الفاعلة في بلورة الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وبالنسبة لموضوعنا فان معرفة الأصول الاجتماعية للقوى التي ناوات الهادي وطبيعة أدوارها السياسية تعد من المفاتيح الاساسية لدراسة وتحليل أحداث العهد السياسي للهادي وفى مجتمع قبلي كالمجتمع اليمني يتميز بكثرة القبائل المتنافسة والمتخاصمة في ما بينها متوقع أن تكون القوى السياسية المناوئة للهادي من أصول اجتماعية قبلية والمصادر التاريخية تؤيد هذا التوقع الافتراضي ،وعلى الرغم من أن اليمن لحظه وصول الهادي كانت تتقاسمه عدة دويلات كما مر الا ان الوضع

فى الإقليم الشمالي بنيته القبلية أكثر تماسكا والدولة اليعفريه فى شبام اشبه بامارة قبلية تحكمها برجوازية قبلية ترجع أصولها إلى القبائل الحميرية او هي عبارة عن تحالف قبلي موسع وكانت سلطتها ضعيفة على المناطق التي تحكمها والتي تخضع فى الأساس لشيوخها وتعيش حاله من الاضطراب والنزاعات الدائمة .

ولهذا الامر اهمية كبيرة على مجريات الاحداث التي رافقت تاسيس الدولة الزيدية وعلى الدولة الزيدية عموما نظرا إلى الفرق في طبيعة الصراعين ، وذلك لان الصراع بين الدول المركزية تنظمه قوانين معينة وتحكمة موازين القوى و ينتهي عادة بتغلب احد الطرفين ويختلف الأمر مع القوى السياسية القبلية نظرا لان الصراع معها صراع مع البنية الاجتماعية والثقافة القبلية للمجتمع ووتستمد قوتها السياسية كمامر من العصبية وايديولجيا التضامن القبلي ولا ينتهي بغلبتها عسكريا وبقاء تحديها مرهون بمدى تماسك الروابط القبلية والتحولات ألاقتصاديه والاجتماعية والثقافية التي تحدث للمجتمع .

وابرز الشخصيات القبلية المناوئة للهادي هي الدعام بن ابراهيم وابنه ارحب والدعام هو كبير ارحب وسيد همدان في عصره, يسكن الجوف ويتزعم قبيلة بكيل, وابو جعفر احمد بن محمد الضحاك شيخ حاشد في عصره وال يعفر برءاسة اسعد بن يعفر وال طريف ومنهم ابوزيد الطريفي وجعفر بن صعصعة صاحب ريدة واحمد بن عباد زعيم الاكيلين وهم رؤوس ال ربيعة وقيادات اخرى صغيرة كابن بسطام وابي دغيش الشهابي واحمد بن محفوظ وغيرهم.

وبحسب المؤرخ شرف الدين "عدد المعارك التي دارت بين الهادي وال يعفر وال الضحاك وال طريف والاكيلين فاق على الثمانين معركة ...غير تلك التي خاظها مع القرامطة وهي زهاء سبعين معركة[1].

وقد امتص هذا العدد الضخم من المعارك الطاقة الجبارة وفل من الارادة الحديدية للهادي والتي كان يمكن تصريفها لاحداث تحول نوعي لليمن و هي تدل على مقدار الغبن الذي لقية الهادي في اليمن ومدى تعقيد الضروف الاجتماعية، ولا زالت القوى التي اعاقت المشروع الاصلاحي

[1] – شرف الدين مصدر سابق، ص 241.

للهادي هي نفسها مشكلة الدولة اليمنية الحديثة وتمارس نفس الدور تقريبا في اعاقة أي مشروع تحديثي او اصلاحي.

وبملاحظه طبيعة الدور السياسي لهذه القوى الاجتماعية تؤكد الدراسات السوسيولوجية إن ألنزعة البرجماتية والانتهازية هي التي تحكم السلوك السياسي للنخب القبيلة يقول الباحث اليمنى النعمانى "إذا كانت القبيلة تسعى إلى الاندماج فى كيان سياسي اكبر منها فذلك يعنى ضرورة إشراك واحتلال رموز القبيلة مراكز سياسيه هامه داخل جهاز ألدوله ويعنى استمرار حصولها على امتيازات معنوية ومادية...[1]

وشبهت دراسة المرصد القبلي بدودة العلق التي تمتص الدم من الجسم .

وفي جواب لسلطان مسيمر (محسن بن على)أيام الاحتلال الانجليزي لليمن على سؤال نزيه بك العظم له عما اذا كانوا يفضلون الاتفاق مع الإمام يحي على الانجليز قوله" من يملأ كفنا قروشا فهو سلطاننا الحقيقي[2]".

والزعماء السابقين ليس فيهم واحدا إلا وقد بايع الهادي وأعلن الولاء لدولته لكن كما هي العادة ولاءات تخضع لاعتبارات نفعية وظروف انية فالدعام كان من المطالبين بقدوم الهادي إلى اليمن ثم تنكر له بعد وصوله وبعد اشتداد الخصومة بينه وبين ال يعفر وال طريف لم يجد أمامه إلا الهادي, وصعصعة بن جعفر يسلم للهادي نكاية بالدعام ثم يستغل خروج القاسم بن الهادى على رأس جيش إلى همدان وبقاء الهادى فى صنعاء فى عدد قليل من الجند، فى تأليب القبائل وإعلان التمرد فى البون مع جماعه من آل طريف بقياده أبو زياد الطريفى, ومع اشتداد ضغط علي بن الفضل على آل يعفر اوسطوا الدعام بينهم وبين الهادي لاغاثتهم وكانوا ابدوا استعدادهم للدخول فى طاعة الهادي وتسليم ما بأيديهم، واستطاع الهادي استعادة صنعاء وإلحاق الهزيمة بابن الفضل ليعاود هؤلاء إلى أثارة المشاكل وأعمال الشغب, وكذلك الأمر بالنسبة للضحاك من حاشد بايع الهادى ثم غدر به, ويذكر صاحب انباء الزمن ان ابراهيم بن علي والغطريف بن الحكمي من تهامة طالبا الهادي بالقدوم وقدمو له العهود الموثقة على الوفاء معه وكلف الحكمي الاهالي باعداد حفل

[1] – ورقة بعنوان "ثلاثية الدولة والقبيلة والمجتمع المدني –مقارنة سوسيولوجية االدور السياسي للقبيلة في اليمن وتحديد علا قتها وموقعها بين المجتمع المدني والمجتمع السياسي "لمحمد النعماني.

[2] –حسين العرشي ،بلوغ المرام ،دار الندوة الجديدة –بيروت، ص 184 .

استقبال وضيافة للهادي وتجهيز الاعلاف للدواب فلما علم الهادي بذلك امر بردها فاستغرب الحكمي لذلك وادرك الا مصلحة له في الهادي وعلى الفور وقبل ان يبرد رماد الضيافة رتب للانقلاب على الهادي[1] .

و يعمد هؤلاء إلى جملة من الأساليب والوسائل للتأثير على القبايل وهى وسائل غير مكلفه ولا تحتاج إلى تخطيط مسبق فمن ناحية المجتمع القبلي يحمل فى أحشائه الكثير من عوامل التفجر الداخلية والوحدة السياسية للقبائل لا ترتكز على اسس ثابتة، فالقبيلة هي وحدة اجتماعية تضم بداخلها وحدات اجتماعيه اصغر تقل أو تكثر لا على أساس رابطة الدم فقط وإنما لأسباب سياسيه واقتصاديه وجغرافيه ويلعب شيوخ القبائل دورا أساسيا فى توسيع واستمرار وانهاء التحالفات السياسية بين القبائل وفي إعلان حالة السلم والحرب كما تخولهم سلطاتهم الاجتماعية، والوعي العصبي عامل محوري في الوحدة السياسية بين القبائل وهو بمقدار "ما هو شعور ايجابي يشد أفراد القبيلة هو شعور سلبي إزاء الآخرين[2]".

وتفرض ايديولوجيا العصبية مجموعه من القيم والأعراف الناظمة لسلوك أفراد القبيلة كالتناصر العصبي والنعرة والتضامن كما تنظم العلاقة بين الفئات الاجتماعية داخل القبيلة وبينها وبين القبائل الاخرى، فبسبب الفوضى التي احدثها ابن بسطام في نجران قامت قوات الهادى بلملاحقته فلجأ إلى قبيلة شاكر لما بينهو بينهم من تحالف سابق و تقتضي ايديولوجيا التضامن القبلي والتناصر العصبي أن يقاتلوا معه رغم بيعتهم للهادي. كما تأثرت دوله الهادي والدولة الزيديه بنظرة القوى القبلية "لوظيفة ألدولة كجهاز تحكيمي" تحتكم اليها القبائل المتنازعة وتقتصر وظيفتها على حفظ السلام بين القبائل...[3]

ويذكر المستشرق البريطاني ر.ب.سيرجنت "أن حاجه القبائل الاساسيه إلى وجود سيد عليهم من البيت المقدس(اهل البيت) يحكم بينهم بحياديه وعدل أدت بهم دائما للعودة لإمام و لم يكن الامام باي حال من الاحوال ملكا وانما رئيس ديني [4]".

[1] –انباء الزمن، ص 17 .

[2] – الجابري، مصدر سابق، ص 169.

[3] –مجموعة باحثين، مصدر سابق، ص 119 .

[4] –سيرجنت، مصدر سابق.

أضف لذلك إن القبائل اليمنية تاريخيا لم تعرف سلطه غير سلطه شيوخ القبائل سواء فى عصر ما قبل الإسلام الذى شهد قيام دولة مركزية وممالك قوية أو ما بعد دخول الإسلام فسلطة ألدولة كانت دائما فى الحضر والمدن الرئيسية اما القبائل فلم يكن لها سلطه مباشرة عليها وإنما بواسطة شيوخها وكانت دوله الهادى أول دولة فى اليمن تسعى لفرض سلطتها المباشرة على القبائل واختراق هذا التقليد التاريخي .

ومن طبيعة الدور السياسي للنخب القبلية أنها لا تملك رؤية سياسيه وليس لديها القدرة على رسم السياسات ألعامه للدولة أو اقتراح برنامج للتغيير السياسي إلا إنها تملك ألقدره على اتخاذ القرارات فهي تشكل جماعه اعتراضية حسب (ديفيد راسيمان) الذى يرى أنها جماعة الاعتراض نادرا ما يكون لدى أعضائها مبادرة واقتراح ولكن لديها ألقدره على رفض اقتراحات الآخرين .

وهذه الصفة تنطبق تماما على الدور السياسي للقوى الاجتماعية القبلية المناوئة للهادي فهي كانت تستطيع أن تعيق المشروع السياسي للهادى ليس على اساس ان لديها مشروع سياسي تعارض به مشروع الهادى, واعمال التمرد التى يقودونها لم يكن لها أي أهداف سياسيه و لم تكن تتبنى اى مطالب اصلاحية مشروعة ترى ان الهادى لم يتعامل معها بشكل ايجابي ومن ثم يكون لها الحق فى المعارضة السياسية او المسلحة لدولته ان لزم الامر ، وانما هي منافع ودوافع واهداف الشخصية.

4-الاصول الاجتماعية للقوى السياسية المناصرة للهادي

تحتل السياسة مرتبه متقدمه فى الفكر الشيعي والزيدى على وجه الخصوص ويعتمد هذا الفكر السياسي على العقيدة سواء من حيث تنظيم وتوجيه السلوك السياسي أو من حيث كونها تقع ضمن الاهتمامات الدينية للفرد المسلم أو الإنسان المتدين والعقيدة لا القبيلة هى المحدد الاساسى للمشروع السياسي كما ينظر الى الفكر السياسي الشيعي باعتباره ايديولوجية المستظعفين لذلك كان من الطبيعي أن تستقطب إليها القوى الاجتماعية المحرومه و المستضعفة والفئات المهمشة و (الامنتمين) كما يسميها بعض الباحثين كالموالي في العصر الاموي والعباسي, والطبرين في حالة الهادي ممن ليس لهم هوية قبلية او تتغلب هويتهم الدينية على هويتهم القبلية من المفكرين ورجال الدين، وان يكون اكثر القوى نفورا منه المنتفعين من الارستقراطية القبلية والاقطاعية فعمار بن ياسر والمقداد وابو ذر الغفاري وقيس بن المكشوح وزيد بن ارقم وابو ايوب الانصاري .. وغيرهم

من المستضعفين وكبار ألصحابه وقراء القران كانوا على رأس معسكر الإمام علي وعلى النقـــيض منه يقف معاوية بن أبي سفيان الذى نجح فى استقطاب أصحاب المنافع وطلاب الدنيا كعمر بـــن العاص وزياد بن أبيه والمغيرة بن شعبه وقد عمل على تالف رجال القبائل المظريه واليمنية وشراء الظمائر بالمال والمناصب حتى يضمن ولائها. وكان أبناء علي يحضون بتعاطف واسع في صـــفوف الجماهير وان كان تعاطفا سلبيا فى اغلب الأحوال كما في العبارة المشهورة عن الفرزدق للحسين بن علي (قلوب الناس معك وسيوفهم عليك) وبحسب الشيخ أبو زهرة فان " ثوره الإمام زيد كانت ثوره الفقهاء والقراء والمتدينين واهل التقى [1] ".

وعلى عهد الدولة الاموية كان الموالى أكثر القوى الاجتماعية نقمه على الارستقراطية العربية وانتشر بينهم التشيع لاهل البيت وقد تمكن العباسيون بدهائهم استثمار تشيع المـــوالي للاطاحـــة بالدولة الاموية على أساس البيعة المتفق عليها للنفس الزكية(احد ائمة الزيدية) والتى حضرها من طرف العباسيين ابو العباس السفاح وابو جعفر المنصور.

ونفس الامر يتكرر مع الهادى فاغلب القوى السياسية الملتفة حوله من الفئات السابقة وهى التى ابلت معه بلاء حسنا وان كانت بعض النخب القبلية والاقطاعية نتيجه لضروف سياسية قد تحالفت معه كالدعام راس همدان وبكيل وابو جعفر احمد بن محمد الضحاك رأس حاشد وقد نجح نسبيا فى تطويع القوى القبلية بعد جولات عنيفة وقاسية من الصراع العسكري لكن القوى التى اختارت الهادى عن قناعة وكانت محل ثقتة هم من المستضعفين والمحرومين والمتنورين واهل الفكر وهذه بعض اسماء رجاله وولاته وقواده كما وردت فى بعض المصادر التاريخية التى تيسر الاطلاع عليها

-ابراهيم بن جعفر الفطيمي (ذمار)

-عبدالله بن الحسين الفطيمي(منكث)

-علي بن ذكوان من الطبريين (عدن)

-على بن سليمان من القادمين مع الهادي من بني عمومته(صنعاء)

[1] -محمد ابو زهرة، الامام زيد حياته وعصره –اراؤه وفقهه،المكتبة الاسلامية بيروت (1959)، ص72.

-احمد بن محمد من ولد العباس بن على بن ابي طالب (نجران)

-محمد بن عبيد الله العلوي راوي سيرته (وشحة)

-عبدالعزيزبن مروان يقال النجراني (برط)

-محمد بن سليمان الكوفي تلميذ الامام الهادي (خيوان)

-محمد بن الهادي (شبام)

-ابن حذيف (الواجبات)

-حسن بن علي بن فطيم (الواجبات)

-ابوعبدالله الرازي من الطبريين (جيشان)

-احمد بن محمد الروية راس مذحج (قائد عسكري)

محمد بن عباد(شبام)

هذه نماذج لرجال الهادي وهي توضح التركيبة السياسية للدولته وتوضح معايير الاختيار للولاة ومن خلالها نلاحظ

-ان دولة الهادي تمثل الفئات و القوى الاجتماعية السابقة من رجال الفكر والامنتمين والمستضعفين وتكاد تخلو من الارستقراطية القبلية ورغم انتهاء اسماء بعض عناصرها بالقاب تدل على هويتها القبلية كابراهيم وعبدالله الفطيميين الا انهم من افراد قبيلة بني فطيميم العادين و لم يعرف عنهم قبل قدوم الهادي انهم كانوا يتقلدون مراكزا قبلية هامة

- ولاة الهادي خليط من العناصر اليمنية وغير اليمنية فاختيار شخص لشغل وظيفة ما لا يتم على اساس مناطقي وهي تنفي مزاعم بعض الدراسات العلميه (المتعرقنة)التى تتهم الهادى بااستبعاد العناصر اليمنية صحيح ان الهادى استبعد بعض الزعامات القبلية والاقطاعيه لانها لم تكن نتسجم واهداف دولته السياسيه كما سبق.

– الفرز الحاصل للقوى السياسية من حول الهادي لم يقصد اليها لا هو ولا القوى السياسية المناوئة او والمناصرة له وانما قاد اليه طبيعة البرنامج السياسي والدعوة الاصلاحية التى تبناها وهي لا تمنع من حيث المبدا استيعاب النخب القبلية ولا تتقصد تجاوزها أو استعبادها وانما ذلك مرهون بما تبديه من استعدادها للقبول بسلطة سياسيه مركزية تقوم على مفهوم(الامة)وليس القبيلة كمكون ثقافي ومحدد سياسي ومدا قدرتها على ضبط سلوكها السياسي والاجتماعى لحكم القانون المنظم لدولة الهادى والمستمد من مقررات الشريعة وليس الاعراف القبلية وهو ما يمثل جوهر المشكلة مع النخب القبلية قديما وحديثا فهى تسعى لسلطة تقتصر وظيفتها على تنظيم العلاقه بين القبائل وتقاسم المنافع ولذلك دولة الهادى لم تجد صعوبة فى استبعاب ابو العتاهية الطريفى (زعيم اقطاعى وقبلى) وهو وان لم يشغل مهما رسميه الا انه كان يحضى بمركز شرفى واستشارى رفيع ومن بين عناصر القائمة ابو راية رأس قبيلة مذحج واحد القيادات العسكريه وقد قتل فى المواجهات بين دولة الهادى والقرامطة.

5-عصبية الهادي(الشرف الاجتماعي)

يعتبر طه حسين ابن خلدون واحدا من اثنين يحتفظ تاريخ الاداب العربية منذ عصر الجاهلية الى عصرنا بذكرهما لما يمتازان به من ابتكار خارق .

وتنظر اغلب الدراسات الخلدونيه اليه على انه رائد او مؤسس علم الاجتماع، والمؤكد ان الفكر الخلدونى يعد محاولة تاسيسية استثنائية فى تاريخ الفكر العربى والاسلامى لكن هذا لا يجب ان يغرى الى الركون الكامل الى المقولات الخلدونيه ومنها نظريته في العصبية التى يجعل منها المحرك للتاريخ وشرطا للرئاسة على اهل العصبية اذ لاتكون فى غير نسبهم و الملك لا يحصل الا بالقبيل والعصبية

ومن دون ان ينكرر الدور الذى تلعبه العصبية الخلدونية في تفسير احداث التاريخ العربى يشير المفكر المغربى/ عابد الجابري الى التحايل الذى يمارسه ابن خلدون على الوقائع التاريخية التى تتعارض مع طبائع العمران كما فهمها وقررها وتكييفها ومطمطتها بشكل غير مشروع, ومن اجل تلافي الحرج الذى تسبب فيه تراس" ابن تومرت" الذى ينتهى نسبه الى اهل البيت على قبائل مصمودة المغربيه يزعم ان نسبه الفاطمى كان خفيا قد درس عند الناس، وفى مايتعلق بالدوله الادريسية لا يستطيع ابن خلدون انكار انتماء الادارسة لاهل البيت لذلك يلجا الى مطمطة

مفهوم العصبية، فيكفى ان تكون في اهل (النصاب الملكي)بمعنى ان العصبية التى كانت لاسلاف هذا الشخص في عهود سالفة يمتد تأثيرها اليه[1] ...

الدولة الزيدية التى اسسها الهادي فى اليمن هى الاخرى توجه صفعة لنظرية العصبية الخلدونية فالهادى وان تعثرمشروعه الكبير الا انه نجح فى التاسيس لدولة تعد الاقوى بين الدويلات اليمنية فى العصر الوسيط والاطول عمرا فى تارخ الدولة الاسلامية ولا يتنافى ذلك مع مع ما مر عن دور العصبية القبلية في تاريخ الامة العربية قبل الاسلام وبعد الاسلام على حد تعبير طه حسين فانه اذا ا استثنينا الابعين عام الاولى من تاريخ الاسلام ليس الا سلسلة طويلة من الخصومات بين القبائل[2] .."

لكن ليس العامل الحاسم فيها خصوص انتماء الهادى لعصبية غير العصبية القحطانية للقبائل اليمنية كما تقررالنظرية الخلدونية وانما بالنظر الى طبيعة سمات المجتمع القبلي كما تحددها الدراسات السوسيوانثربولوجية, وانتماء الحاكم الى عصبية المحكومين هو عامل ضمن حزمة من العوامل المتداخلة يتاثر الدور الذي يلعبة على الصعيد السياسي من حيث القوة والضعف بجدلة مع منظومة المتغيرات الاخري .وبالنسبة لتاثير هذا المتغير على دولة الهادي فعلى فرض انه كان حفيدا للملك السبئي ابي كرب اسعد الكامل وليس علي بن ابي طالب، او ان جدته هي بلقيس بنت الهدهاد وليس فاطمة الزهراء, او انه سليل احدى الاسر الحميرية الشهيرة او كان من اب وام قحطانيين لما كانت وضعيته احسن حالا بدليل ان القبائل اليمنية مارست نفس الدور مع حكومات ذات عصبية قحطانيه و بوتير اشد كال يعفر والدولة القرمطية لعلي بن الفضل ذي الاصول اليمنية ولازلت تمارسة مع الدوله اليمنية الحديثة في الالفية الثالية .

فابن خلدون يبالغ فى الدور الذى منحه للعصبية كمحرك للتاريخ والخطا الذى وقع فيه يشبه ما وقعت فيه الماركسية بتركيزها على الواقع الاقتصادي واهمالها العوامل الاخرى مع ان علماء الاجتماع على اختلاف فى رؤيتهم للواقع الاجتماعي يتفوقون على الدور المتعاظم للبنية الاقتصادية على كافه مناحي الحياة.
و من نقاط الضعف في العصبية الخلدونية ان القوة الاجتماعية ويعنى بها قدرة الفرد على

[1] – الجابري، مصدر سابق، ص 126-128.
[2] – طه حسين، مصدر سابق، ص 186 .

فرض ارادته وسلطته على الاخرين فى المجتمع لا تتحدد بمحددات جينالوجي فقط وانما بمحددات اقتصاديه واجتماعية ودينية[1] .

يمكن تحديد مصادر القوة السياسية للهادي فى التالي – الكاريزما الشخصية وقد سبق الحديث عنها – الدعوة الاخلاقية, و المشروع الاصلاحي وقد سبق الحديث عنه بالشرف الاجتماعي كمايسميه عالم الاجتماع الالماني ماكس فيبر ويعنى ماتخلعه الجماعة على الشخص من هيبة والشرف الاجتماعي للهادى وان كان منشؤه انتسابه الى ذرية النبى محمد(ص) لكن ليس وفقا للعصبية الخلدونية نظرا للطابع الدينى الذي يطبع هذه القرابة ويتجاوز بها كل العصبيات والعاطفة الدينية لذرية النبي المتولدة عن المكانه الدينية له، فالشرف الديني للنبي كان مفعوله يمتد الى ذريته ولذلك عادة ما كان الثوار والدعاة من البيت العلوي يوضفونها لخدمة مشرعهم السياسي في استدرار عواطف الجماهير

وكم هو معلوم في تاريخ الادب العربي ان سياسه بنى امية في المنافسة بين القبائل كان من نتائجه نشوء خصومة شديده بين القبائل العربية والقبائل اليمنية والمضرية على نحو خاص، ومن الحكايات الطريفة والمعبرة ماأورده احمد امين عن المبرد ان رجلا من الازد كان يطوف بالبيت وهو يدعو لابيه فقيل له الا تدعو لامك فقال "انها تميميه[2] " .

واسفرت هذه الخصومة عن ظهور لون ادبى جديد عرف بشعر النقائض يقوم على المفاخرات العصبية والقبليه الا ان هذه المفاخرات كانت تستثني قرابة النبي فدعبل الخزاعى كان يتعصب لقحطان ويناقض الكميت الذي يتعصب للعدنانية وفي نفس الوقت كلا الشاعرين قالا اجود القصائد في مديح اهل البيت في ذلك يقول احمد الشامى ان قصائد دعبل"قحطاني" فى اهل البيت تسابق هاشميات الكميت بل كان الشعراء الشيعه من ال قحطان من قضية اهل البيت وماسيهم ذريعه لشتم العدنانيين "وذكر ان قصيدة الدامغة للشاعر اليمني الهمدانى رد على

[1] –محمد عودة، اسس علم الاجتماع، دار النهضة العربية للطباعة و للنشر، بيروت، ص 207 .

[2] –احمد امين، ضحى الاسلام ، ط10 ، دار الكتاب العربي بيوت، جـ1، ص 20.

الكميت بن زيد وليس على العلويين كما زعم البعض وانه كان يسلك مسلك دعبل والحميري والاسلمى وبن العليف والهبل من الشعراء القحطانيين الشيعة[1].

وبالنسبة لهاشمية الهادى فقد لعبت دورا مزدوجا فمن ناحية انتماء الهادى للاسرة الهاشمية كان احد اسباب لجوء القبائل اليمنيه اليه أي ان القبائل كانت تقصد ان يكون الشخص الذى تستقدمة من ابناء علي ربما بسبب العلاقة التاريخية التي تربط القبائل اليمنية بالامام علي كما مر، اضافة الى ان العلويين كانوا هم ملاذ الجماهير كلما سأت احوالها وارادت ان تحتج على وضعها او تعبر عن ضيقها وقد تنجح الجماهير فى مسعاها وينجحون معها وقد تخفق ويخفقون معها .

وكان الهادى يحاول الاستفادة من نسبة فى استثارة عواطف القبائل اليمنية وعادة في خاطباته للقبائل يذكرهم باهداف دعوته النابعة من القران والسنة ورغبته الصادقة في الاصلاح ويعزز ذلك بكونة من اسرة النبي (ص)مايعني ان عامل القرابة عامل مساعد يعززمن موقفه السياسي والدينى و لم يكن لنسب الهادى دور واضح فى توتر العلاقة بينه وبين النخب القبلية، نعم وردت في تصريحات بعض مناوئيه الاشارة الي نسبته العلوية كما جاء في محاججة اصحاب الدعام له على قبوله بالسلام مع الهادي "لانسلم ملكا قاتلنا ال يعفر عليه لهذا العلوي" اوفي رفض ال طريف دخول الهادي صنعاء بقولهم "لا نريد هذا العلوي" لكن كما هو واضح ليس فيها اشارة صريحة الى ان علويته هي سبب رفضهم اياه بقدر ما هي لقب لتمييز شخصة والعلوي او العلويين لقب شاع استخدامه خاصة بعد قيام الدولة العباسية لتمييز ابناء على عن بقية قرابة النبي يستوي في ذلك اليمن وغيره من بلدان العالم الاسلامي, وفي كلام اصحاب الدعام تصريح بسبب رفضهم فالعنت الذي لاقوه في قتال ال يعفر يجعلهم اولى بالملك فكيف يقدموه على طبق من ذهب للهادي, وقد مر انفا اسباب توتر العلاقة بين الهادي والقوى القبلية في دراسته عن الدولة الزيدية اشار الخضري الى دور اموال الزكاة التي كان يلزمهم الهادي بدفها في تمرد القبائل اليمنية

6 -المؤثرات الثقافية

[1] احمد الشامي، جناية الاكوع على ذخائر الهمداني،ط1، دار النفائس (1980)، ص 71-77 .

تلعب الثقافة دورا اساسيا في إحداث التحولات الاجتماعية والسياسية للمجتمع وتشكيل وعيه السياسي والديني وتؤك على أن ألقدرة على المعالجة العقلانية والمنطقية للمواقف وعلى تغيير سلوك الناس عن طريق مواجهه هؤلاء بأفكار جديدة وأنماط سلوكيه جديدة[1].

ويعتبر العامل الثقافي من اهم نقاط الضعف في دولة الهادي فعند توجهه الى اليمن لم يجد الكثير من اقاربه في الحجاز في انفسهم الرغبة في مرافقته الى اليمن ولذلك توجه على راس وفد متواضع من ابنائه وبعض ابناء عمومته وخدمه وكان موكبه يفتقر الى العدد الكافي من المبشرين الدينيين الذى يتطلبه نجاح دعوته الاصلاحية ومشروعه السياسي فاليمن كانت بامس الحاجة الى عمل تبشيرى نشط ومكثف يفضى الى احداث تحول ثقافي واجتماعي يساعد الهادى على تحقيق مشروعه الطموح وتجاوز الثقافة القبلية التي تشكل وعي المجتمع وتقف سدا منيعا يعيق نشاطه السياسي والدينى. و قبل وصول الهادى كانت اليمن "قد فقدت كل قيمة مفيدة في التاريخ العام[2]".

والحياة الفكرية كانت في غاية البؤس ان لم تكن منعدمة حتى ترفد حملة الهادى بمجموعه من المفكرين ورغم ان الامداد الطبرستانى كان يضم عدد من العلماء و المفكرين امثال احمد بن موسى الطبرى ومحمد بن سليمان الكوفى وعمر بن ابراهيم الكوفى وغيرهم ممن اسهموا فى انعاش الحياه الثقافية في اليمن وفى صعدة بالذات الا ان اعداد المبشرين لم يكن يفى بالحد الادنى من الاحتياج الثقافي للمناطق التى تنظم لدولة الهادى, وكان التوسع العسكري لا يترافق معه توسع ثقافي بنفس الدرجة يكون بمقدوره ان يهز البناء الايديولوجي القبلي للمجتمع .

وتتأكد ضرورة النشاط الثقافي والتبشيري إذا عرفنا حجم التحول الذي أحدثه الإسلام في الواقع الاجتماعي لليمن فاليمنيون وان كانوا قد تخلوا عن عبادة الأوثان وتحولوا إلى عباده الله واحد وفقا للتصور الاسلامى إلا أن كثيرا من العادات المنتمية إلى العصور السابقة للإسلام بقيت تمارس دورها وحافظت الثقافة القبلية على مكانتها كثقافة مرجعية للمجتمع، وبقي اثرالثقافة الدينية في تشكيل الوعي السياسي والاجتماعي للقبائل اليمنية متضائلا .

[1] – محمد عودة، مصدر سابق، ص 110 .

[2] –اغناطيوس غويدي، محاضرات في تاريخ اليمن ت ابراهيم السامرائي ط1 دار الحداثة (1986)، ص 96 .

وسبق ان الهادى استطاع ان يحرز نصرا سياسيا وعسكريا خاطفا فى الايام الاولى لدولتة وكان ماله من جاذبية دينية وهيبة سياسية تسبقانه الى المناطق التى استطاع ان يفتحها فتحا سياسيا لكن هذا التحول السياسي كان على السطح ولا يمكن الاطمئنان اليه ما لم يقم على اساس تطور بنيوى للمجتمع وحدوثه رهن لجملة شروط ثقافية واقتصادية غير متحققة فى اليمن كما سبق فمن ناحية كانت الضرف الاجتماعى يتطلب تركز الجهد فى النشاط الدعوى والعمل التبشيرى والثقافى الذى يمهد لتاسيس الدولة ويرافق مراحل تطورها لاحداث التحول البنوى اللازم لقيام المجتمع الـــذى يهدف مشروع الهادى الاصلاحى تحقيقه دينيا وسياسيا واجتماعيا.

نعم كانت بذره التشيع قد بدات قبل مجيئ الهادى الا انها لم تكن اكثر من عاطفة اجتماعيـــه تربط القبائل اليمنيه بالامام علي الذى قدم اليمن فى العام (8) لنشر الاسلام. ولم يتحـــول الى تـــــــــــــــــشيع عقـــــــــــــــــدي او سياســـــــــــــــــي والهادى كان يدرك هذا وقد سعى للتغلب على العجز فى هذا الجانب وفى الجانب العسكري ايضا بمكاتبة العلويين والشيعة لطلب الامداد والاعانة الا ان العلويين فى الحجاز لم يتفاعلوا معه بايجابية والامداد الطبري على اهميته لم يكن يفى بالغرض فضلا عن امتصاص الجانب العسكرى لاعمالهم لانه كلما توسعت السلطه الهادى احتاج الى وفرة في المال والرجال من المقـــاتلين والـــسياسيين والمفكرين وكثيرا ما كان رجال دوله الهادى يضرون الى تحمل اعباء مضاعفة لتغطية العجـــز في النواحي الثقافية والسياسية والعسكرية والتوفيق فى ان واحد بين العمل السياسي والعمل التبشيرى والعمل العسكري الذى لم يكن يعفى احد منه بمن فيهم الهادي نفسه اذ كان يباشر العمليـــات القتاليه بنفسه.

ومهما تكن الضروف ربما كان على الهادى قبل المسير الى اليمن ان يبعث بدعاته مع وفـــود القبائل اليمنيه التى تطالب بقدومه كخطوة اولى تمهد لقدومه ومن ناحية اخرى اى حركة اصلاحية او سياسية في ظروف كهذه لا يجب ان توقعاتها كبيرة ولزاما عليها ان تبدا مباشرت عملـــها السياسي والاصلاحى من نقطة متدنية تستهدف المجتمع لاعادة بناءة فكريا وسياسيا واجتماعيا وان يكون تحركها على مراحل .

7-المؤثرات الاقتصادية

- اصبح من المتوافق عليه بين علماء الاجتماع والانثربولوجيا ان من غير الممكن فهم وتحليل مكونات البناء الاجتماعى من دون فهم النسق الاقتصادى للمجتمع فالنظم الاقتصادية تعد مدخلا اساسيا في تفسير الظاهرة الاجتماعية لدى اغلب النظريات السوسيولوجيه على اختلاف درجات تركيزها وقد نبه ابن خلدون الى اهمية العامل الاقتصادى فى التطور الحضاري والسياسي في نظرته الى ان اختلاف الامم فيما بينها يرجع الى اختلافها فى نحل معيشتها, ونقصد بالعامل الاقتصادى الطريقه المتبعة فى عمليه الانتاج والتوزيع وقدرتها على تحقيق فائض اقتصادي.

وفيما يتعلق بالوضع الاقتصادي لليمن فى القرن الثالث الهجرى لا تسعفنا المصادر التاريخيه بمعلومات وافية, فتركيز المصادر التاريخيه التى تنا ولت عصر الامام الهادى كان على تسجيل سير الاعمال العسكريه بين القوى السياسية والاجتماعية المتصارعة لكن المعلومات المتجمعة تفيد ان اليمن فى هذا العصر كانت تعانى اضافة لازماتها السياسية ازمة اقتصادية خانقة وبحسب هذه المصادر ان شح الموارد الماليه وتدهور الزراعة التي تعد القطاع الانتاجى الرئيسى بسبب الجدب والحرب من بين الاسباب التى حملت القبائل اليمنية على معاودة مراسلة الهادى (انظر انباء الزمن ص18) وقد مر بنا ان اليمن كانت قد فقدت اهميتها التجارية والقطاع الزراعي كان تضرر على نحو بالغ بعد حادثه سيل العرم وانكسار السد .

والفوضى السياسية وانعدام الاستقرار كانت تعرض القوافل التجارية للخطر وتهدد حياة المسافرين ولذلك بقي القطاع الزراعى هو ركيزه الاقتصاد اليمنى وتعتمد على الامطار والغيول والوسائل البدائيه للرى، اما الري الصناعي بأنشاء السدود والحواجز المائية فتذكر بعض المصادر التاريخية وجود بعض السدود كسد الخانق فى صعدة وسد اخر فى ساقين دمرها ابراهيم الجزار قبل وصول الهادي فضلا ان اليمنيون ربما كانوا قد فقدوا حماسهم للسدود بعد حادثة العرم ولم تعد من الوسائل المعتمدة للرى و الجماعات الصغيرة لا تقوى عليها، وتتفاوت مناطق اليمن من حيث خصوبة اراضيها ووفرة محصولها الزراعي ونسبة هطول الامطار الموسمية.

وبشكل عام الفلاحه ليست مصدرا للغنى ولا تحقق فائضا اقتصاديا ويخضع للتقلبات الطبيعيه والسياسية والمناخية واقتصاد المجتمع الزراعي اقتصاد يقوم على الكفاف ولا يعرف الرفاه والثراء ولا يسمح بقيام تفاوت طبقي والمستوى المعيشى للافراد يكون متقاربا وهذا الوضع المعيشى هو المسؤول بدرجه كبيره عن بلوره الاوضاع الاجتماعية والسياسية للمجتمع القبلى.

وفى اطار ربط الضروف الطبيعية والبيئية بطراز الشخصية فان استثمار الطبيعة القاسية لليمن ارتبطت دوما بالجهد الانسانى المبذول وانه عندما يكف الانسان اليمنى عن التدخل او حتى الاغفال لبعض الوقت فى ترويض الطبيعة سرعان ما تغدر به وتعود الى تمردها وترفض معها ان تمنحه ادنى حدود اسباب البقاء.

كما انعكس هذا الجهد الانسانى لاستثمار الطبيعة فى بناء الشخصية ونمو الثقافة والعلاقات الاجتماعية والانتاجية فى المجتمع اليمنى حيث تاصلت فى شخصية الانسان اليمنى منذ القدم روح الحذر وعدم الركون الى ماهو معطى او الاطمأنان اليه والاستعداد الدائم للتعامل مع اشد متغيرات الزمن سلبا وايجابا بدرجات متوازية من الحذر والتفائل وحساب الاحتمالات وهو لذلك انسان مرن فى تصرفه وعواطفه عملى السلوك والتفكير متواضع العقيدة قليل الاهتمام بالماورائيات شديد الاعتداد بنفسه وارضه .يسعى لتحصين ذاته من خلال اندماجها بالبيئه والمكان والجماعه التى ينتمى اليها .لا يحتكم للنظام الرسمى بسهوله ولا يعترف له قط بحق السلطه المطلقه مشبع بنزعه التمرد على كل ما لا يستجيب لقناعاته سواء صحيحه او خاطئه فى مصلحته او ضدها[1].

وعن اثر هذا الوضع الاقتصادي على دوله الهادى فمن حيث المبدا امكانية قيام الدولة كظاهرة اجتماعية ترتبط بحاجة المجتمع وبمستوى التطور الاجتماعى وبتوافر الشروط المادية والمعنوية التى تهئ لعملية الانتقال من القبيلة الى الدولة والانتاج الزراعي والحيوانى والقطاع الحرفى السائدان انئذ لا يوفران فائضا اقتصاديا يزيد عن الحاجة الضرورية للمجتمع والعائدات الاقتصاديه التى تحصلها لخزينة الدولة لا تفى بالحد الادنى من الاحتياجات الاساسية

محمد عبده الزغير،عنف الاطفال الابعاد الاجتماعية لظاهرة العنف لدى الاطفال في المجتمع اليمني ،مطابع الشرطة للطباعة والنشر يم (2003)، ص. 73-7.

للدولة لان قدرتها على بسط نفوذها يتطلب وفرة في العدد والعدة في المال والرجال وتزداد حاجتها كلما توسعت سلطتها , ومصادر تمويل الدوله كانت تعتمد على ما تفرضه على الاصناف المختلفه للزراعه والثروة الحيوانيه اضافة للغنائم التي يحصلون عليها اثناء المعارك وكانت السياسه الماليه لدولة الهادى رغم تشددها في قبض اموال الزكاة لا تسمح بأرهاق المزارعين بفرض مزيد من الضرائب كما سبق الامر الذي تسبب في العديد من المتاعب فمن ناحية ادى العجز في الانفاق على الجند الى تسريهم من صفوف معسكر الهادى وتعرضهم للاغراء بزيادة رواتبهم للانصراف عنه واللحاق بمعسكرات خصومه وقد اضطر الهادى الى الانسحاب من صنعاء بسبب العجز والنفقات اللازمة للبقاء فيها بعد ان رفض اهل صنعاء اقراضة ومن ناحية اخرى كان تشدد الهادى في قبض اموال الزكاة كاملة تجعله يصطدم بالقبائل خاصة القبائل القوية فالقبائل ذات المنعة تعودت ان تمنح ولاء سياسيا شكليا للسلطات المركزية مقابل اعفائها كليا او جزئيا من دفع الزكاة او اى اتاوات اخرى وخاصة رجالها الاقوياء والنافذون وكان الهادى يصر على اخذ الزكاة من القوي والضعيف على حد سواء كما ان شيوخ العشائر اعتادوا كما جرت الاعراف القبليه ان جبايه المستحقات من اختصاصهم وكانت السلطات السابقه تفاوضهم على مبالغ ماليه يدفعونها مقابل اطلاق ايديهم من المستحقات وضمان ولاء قبائلهم للدولة.

ومن ناحيه ثالثة الانتاج الزراعي او الاقتصاد الزراعى يسهم في الحفاظ الوضع الاجتماعي على ما هو عليه ويحافظ على تماسك البناء القبلي ومفرزاته على الوضع السياسي والثقافي خاصه في المناطق الجبلية والشحيحة الامطار وقد عزت دراسه المرصد اليمنى قوة التاثير السياسي لقبيله حاشد وبكيل مقابل محدوديه الاثر السياسي لقبائل حمير ومذحج وكندة الى طبيعة الدوله الزيديه التي لم تؤسس اى مؤسسات حكومية كما قالت في حين القبائل الاخيرة شهدت قيام بعض الدول التي اتسمت بطابع مؤسسى مثل الدولة الايوبية والرسوليه والعثمانية والاحتلال الانجليزي.

الا ان ماذكرته دراسه المرصد لا يستند الى اي دليل منطقي فضعف البناء القبلي هنا وقوتة هناك فرضته عوامل اقتصادية وجغرافية كما تؤكد الدراسات فالمناطق الزراعية في حاشد وبكيل هى الاقل خصوبة ونسبة امطار مقارنة بالاراضي الاكثر خصوبة في السهول التهامية فضلا عنما توفره الموانئ البحرية من حركة تجارية فكان المستوى المعيشى لهذه المناطق

افضل اضافه الى انها منطق سهليه تتوفر فيها فرص افضل للاشراف الحكومى ولحركة الجيش بعكس التظاريس الوعرة لاغلب حاشد وبكيل التى تعيق تحرك الجيش وتسهل حركات التمرد وتصعب من امر الاشراف المركزي للدولة :وقد شكلت التضاريس فى المناطق الشمالية عائقا كبيرا امام القوات العثمانية المزوده ببعض الاسلحة الحديثة التي تجرها العربات.

وما سبق لا يعنى ان الدول المشار اليها كانت تنعم بالاستقرار فالدول العثمانية وان تلقت الضربات الموجعة فى الاقليم الشمالى الا انها لم تنعم بالهدوء فى كل المناطق اليمنية ,والدويلات الاخرى لم تستطع الصمود لاكثرمن ثلاثه اجيال ،كما لم تنعم كثيرا بالاستقرار وقامت فيها اكثر من حركة للتمرد رغم التسهيلات الاقتصادية والجغرافية و لم يستطع اى منها مد نفوذه الى المناطق الجبلية الا لفترات يسيره فى حين الدوله الزيدية استطاعت ان تمد من عمرها لقرون مديده وان تصمد لعاديات الدهر لانها كانت تملك من عناصر القوه واسباب البقاء اكثر مما لدى الدويلات الاخرى

وربما الاكثر وجاهة ان تماسك البنية القبلية استطاع ان يخترق الدور السياسي والفكر السياسي للزيدية فالتنافس بين زعماء القبائل تحول فى حالات ضعف الدولة الزيدية الى تنافس سياسي زيدي–زيدي بين القايدات الروحية والسياسية واصبح لكل قبيلة رموزها الروحية والقبلية , وكل قبيلة تتعصب لشيخها وامامها واستطاعت الثقافة القبلية ان تعكس نفسها في بعض جوانب الفكر السياسي والفقهي للزيدية

خاتمة:

أي دعوة اصلاحية شاملة كدعوة الهادي الرسي يكون نجاحها بقدر ما يتوفر لها من تسهيلات اجتماعية واقتصادية ومعرفية واليمن لم يكن البيئة التي توفر مثل هذه التسهيلات, اجتماعيا تتمتع اليمن قديما وحديثا ببنية اجتماعية عصبوية قبلية وتعد القبيلة من اكثر العناصر الاجتماعية والسياسية فعالية فية ويمتاز بوفرة قبائله, وقد زاد من تعقيد الوضع الفوضى السياسية وانعدام الوحدة السياسية والحروب القبلية التي لا تنتهي حتى تبدأ وكثرة الطامحين المناوئين للهادي. ومع ان القبائل اليمنية اخذت منذ (628)في الانظمام الى الدين الجديد الا انه لم يطرا على الوضع الاجتماعي تغييرات جوهرية, وقبل وصول الهادي كانت الحياة الثقافية شبه منعدمة وقبل ان يؤسس الهادي مدينة صعدة التي

اصبحت فيما بعد مركز اشعاع حضاري وعلمي لم يكن هناك حراك ثقافي نظيرما هو كائن في الكوفة والبصرة والقاهرة ...من بلدان العالم الاسلامي.

وكانت مجموعة من العوامل قد ادت الى فقدان اليمن ما لها من حيوية اقتصادية وبقي القطاع الزراعي والحيواني هو ركيزة الاقتصاد اليمني وهو لا يوفر فئضا يزيد عن الحاجة الضرورية للمجتمع, وكان هذا لوضع الاقتصدي يسهم في الحفاظ على الوضع الاجتماعي ويزيد من تماسك البناء القبلي بما له من افرازات على الوضع السياسي.

وقد شكل هذا الوضع اكبر تحد لدولة الهادي ووقف عائقا امام مشروع الهادي الاصلاحي الذي كان يتعارض مع الوعي القبلي السائد وايديولوجيا التظامن القبلي والتناصر العصبي, وكان تمفصل تجربته السياسية على العقيد يشكل اختراقا للقبيلة ومنذ اليوم الاول اهم القوى السياسية التي وقفت بوجه دولة الهادي النخب القبلية.

ورغم النجاحات النسبية التي حققها الهادي الا انها لم تكن بحجم طموحات الهادي ولا الجهود الضخمة التي بذلها من اجل تطويع المارد القبلي وقهر الواقع الاجتماعي ومع انه كان قد ابدا تردده في الذهاب الى اليمن فانه ربما اخطا في تقدير امكانات الواقع اليمني الاجتماعية والاقتصادية.

The social system based on tribe in Yemen and its effects on the political and cultural role of Zaidiyya

ABSTRACT

This article mentions the social system based on tribe in Yemen and its effects on political and civil role of Zaydism in this region. It has been analyzed by using both classical and modern history and sociology sources in the article. Both the geographical conditions and social system based on tribe has affected the formation of Zaidiyya. By virtue of these two factors, Zaidiyya's development and taking root in this region is analysed sociologically. Especially, al-Hâdî al-Rassî's political experience between A.H. 284-298/897-911 in Yemen are analysed and evaluated sociologically.

Key words: Sect, Shî'a, Zaidiyya, sociology, al-Hâdî al-Rassî, tribe.